

كمال الإيمان

في التداوي بالقرآن

تأليف

عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري



عالم الكتب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقدمة المعتني به

الحمد لله العزيز الوهاب, مالك الملوك ورب الأرباب, هو الذي أنزل على عبده الكتاب, هدًى وذكرى لأولي الألباب, وترياقًا وشفاءً لذوي الأسقام والأوصاب, وأودعه من الخصائص الشفائية, واللطائف الخفية, والدلائل الجليّة, والأسرار الربانية, العجب العُجاب.

وأصلّي وأُسلِّمُ على سيدي وسندي وقدوتي وملاذي وقُرَّةِ عيني محمد طبيب الأطباء, الذي كان يعالج أصحابَه بالقرآن من الأدواء, ويقول لهم ‘: **>القرآن هو الدواء<**[1]. وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان, الذين اقتفَوا أثرَه, ورَوَوا عنه خبرَه.

أما بعد:

---

(1) حديث حسن.. وسيأتي تخريجه ص 92.

فهذا كتابٌ عظيمُ الشان, ماتعٌ ناطقٌ بالبيان, جامعٌ لكلِّ ما يتعلَّق بالتداوي بالقرآن, أجادَ مؤلِّفُه المحدِّثُ الفهَّامةُ العلاَّمة أبو الفضل عبد الله الغماري أيَّما إجادة, فجمع فيه حقائق شاردة, وجعلها سهلةً مأنوسة, وألَّفها أحسنَ تأليف, ويسَّرَ منالَها لطلابها بأسلوب لطيف, وملأ فراغًا لم يَقُمْ بمَلئه أيُّ رديف.

وتحدَّث في مستهلِّه عن سبب التأليف, فقال:

(...فقد سمعتُ في بعض الأيام حديثًا مذاعًا بـ(الراديو) لبعض الأزهريين, عرض فيه لموضوع التداوي بالقرآن الكريم, فأنكره أشدَّ الإنكار, وجعله من قبيل الدَّجْل والخرافات, فعجبت لجرأة هذا الأزهري المبتدع!!... وسميناه: >**كمال الإيمان في التداوي بالقرآن**< وقصدنا التقرُّبَ به إلى الله تعالى...).

فهو كتابٌ في الذُّروة من البحث والعلم, على مستوى الأئمة الفحول, ولا ضيرَ على الكتاب أَنْ كان المؤلِّف من المتأخِّرين, بل هذا لا يَنْقصُ قيمتَه من الاعتبار والتقديم, فقد قال ابنُ مالك ـ صاحب الألفية في النحو رحمه الله تعالى ـ في أوَّل كتابه (التسهيل) في النحو:

(وإذا كانتِ العلومُ مِنَحًا إلهيَّةً, ومواهب اختــصاصية, فغــيرُ مستبعدٍ أنْ يُدَّخَرَ لبعض المتأخرين ما عَسُرَ على كثيرٍ من المتقــدمين, نعوذ بالله من حسودٍ يَسُدُّ بابَ الإنــصاف, ويَــصدُّ عــن جميــل الأوصاف) اهـــ.

من أجل هذا أحْبَبْتُ خدمةَ الكتاب والعنايةَ بـــه, وإخراجَـــه للناس في حُلَّةٍ بهيَّة تلاقي مقام الكتاب ومؤلِّفه, وتُحلُّه المترلةَ اللائقـــةَ به من نفوس أهل العلم, وأرجو أن أكونَ قد وُفِّقتُ إلى ما قـــصدتُ بفضل الله تعالى وعونه.

*** عملي في الكتاب:**

اعتمدتُ في عملي على نسخة مطبوعة بمصرَ في حياة المؤلف سنة 1373هـــ, وقد وقع فيها بعـــضُ التـــصحيفات, والألفـــاظ الساقطة من الآثار والأحاديث, تبيَّنتْ لي في أثناء رجوعي للأصـــول والمصادر, فاخترتُ الصحيحَ, وأثبتُّ الساقطَ, دونَ أن أنبِّه على ذلك بكثرة الحواشي, لأن الغايةَ أن يُقَدَّمَ للقارئ نسخةٌ صحيحة أو أقربُ ما تكون إلى الصحة, وليستِ الغاية أنْ أرهقَ فكرَ القارئ أو أشوِّشَ عليه فهمَه دون فائدةٍ ترتجى.

وقد فَصَلْتُ بين تعليقاتي وأصل الكتاب بخطٍّ متَّصل هكـــذا: ــ, وأحيانًا يعلِّقُ المؤلِّف رحمه الله تعالى على كلامه موضِّحًا, فصلْتُه عن الأصل بنقطٍ متتابعة هكذا: ....

وقد علَّقتُ بإيجازٍ حينًا, وبإسهابٍ حينًا, على مواضــعَ مـــن الكتاب موضِّحًا أو مصحِّحًا, وعزوتُ الآياتِ الكريمةَ إلى سُـــوَرِها, وخرَّجتُ الأحاديثَ الشريفةَ من مصادرها, بعد أن بيَّنتُ مترلَتها من الصحة والثبوت, فإن احتاج الأمرُ درستُ الأسانيدَ والطرق.

وقد رأيتُ من المناسب جدًّا أثناء اشتغالي بخدمة الكتـــاب أن أترجمَ للمؤلِّف ترجمةً وافيةً, لا يُهضَمُ فيها حقُّه, ويُنْزَلُ فيها مترلَتَــه, وكنت في الطبعة الأولى قد نقلتُ ما كتبه بقلمه معرِّفًا عن نفـــسه في كتابه (بدع التفاسير) لَما فيها من مزيد علم وكبير فائدة, لكن شدَّ مني العزم إلى تهذيبها, شيخُنا العلامة المحقق محمد عوامة أمَدَّ الله في بقائه.

ثمّ إنني مهَّدت للكتاب ـــ بعد التعريف بالمؤلف ـــ بفوائـــدَ جليلة:

أولها: ذكر الحكمة من اختيار المؤلف رحمه الله تعـــالى هـــذا العنوانَ لكتابه, تعرَّضتُ من خلالها لشبهةٍ باطلةٍ ـــ وهي أن التداوي يتعارض مع التوكل ـــ ناقشتُها باستيعابٍ وتفصيلٍ.

ثانيها: إجابةٌ علمية ـــ من خلال ما توصَّل به الطبُّ الحديث والتجارب الحية ـــ لسؤال مهمّ وهو:

هل للقرآن الكريم تأثير حسيٌّ عضوي؟ أم روحي نفسي فقط؟ أم مشترك بينهما؟.

ثالثها: قمت بِحَلٍّ إشكالٍ قد يتبادرُ إلى ذهن المرء وهو:

هل لرقى الجاهلية ـــ التي رخَّص بها رسولُ الله ‘ لكثير مـــن الصحابة ـــ ذاتُ التأثير الشفائي الذي للقرآن الكريم؟ فإن ثبتَ ذلك فأينَ تكمنُ الخصوصيةُ إذاً للقرآن الكريم؟ وإلا فلماذا رخَّص بـــذلك رسول الله ‘؟.

وقد استعنت على ذلك بمادة علمية من كتب الطِّب وتقـــارير الأطباء.

رابعها: الإجابةُ عن سؤالٍ مهمٍّ وهو:

هل الأثر الشفائي للقرآن الكريم خاصٌّ بالمؤمنين؟.

وقد دفعني إلى هذا البحث ما أخبرني به شيخنا الفاضل المحدِّث العلامة الشيخ محمد عدنان الغشيم عن لقائه بثلَّةٍ من كبـــار العلمـــاء والقرَّاء في موسم الحج لهذا العام ــ 1419هـــ ــ وأنهم طرحوا هذا السؤال, وتضاربت الأقوال فيه, ولم يتَّفقوا على جـــوابٍ فاصـــلٍ, فهداني اللهُ تعالى إلى إجابةٍ مدعَّمةٍ بالأدلة والبراهين, ولله الحمد والمنَّة.

خامسها: الجواب عن تساؤل لفت انتباهي إليه أخي الفاضل المجدّ الشيخ ياسر نجار حفظه الله تعالى وهو:

هل الجهر بقراءة القرآن ــ بمعنى إسماع المريض الـــتلاوةَ ـــــ شرطٌ في الرقية؟.

وبهذا أكون قد أضفيتُ على الكتاب أبحاثًا قيِّمةً؛ ليخرجَ بهذا الثوب القشيب والرونق البديع, وهاهو ذا جهدي بين يدي القـــارئ فلا أُطيل ببيانه.

وأختم الحديث بالدعاء:

(اللهم اجعلِ القرآنَ لنا في الدنيا قرينًا, وفي القبر أنيـــسًا, وفي

القيامة شفيعًا, وعلى الصراط نورًا, وفي الجنة رفيقًا, ومن النار سترًا, ولأدوائنا شفاءً, وألهم كلَّ من ينتفع بهذا الكتاب الدعاءَ الـــصالح لي وللمؤلف, والحمد لله رب العالمين).

اللهم آمين

وكتبه

فقير عفو ربه

فراس محمد وليد الأويسي

في حلب 7 من صفر سنة 1420هـــ

التعريـــف بالمؤلـــف

رحمه الله تعالى [1]

عندما هَمَمْتُ بجمع سيرة مختصرة تُعَرِّف بـــالمؤلف, وتُنَزِّلُـــه منزلَته ـــ وكنت قبلاً قد وقفت على ترجمة غنيّةٍ بالفوائـــد, بقلمـــه رحمه الله تعالى, عرَّف بها عن نفسه في كتابه >بدع التفاسير< ـــــ نازع فِكري أمران:

الأول: أنني خشيت أن أبْخَسَ حقَّ هذا العـــالم النِّحريـــر إن ترجمتُ له؛ لأن الترجمة ستكون مختَصَرةً حتى تـــتلاءم مـــع حجـــم الكتاب.

الثاني: أن أسرد ترجمة المؤلف لنفسه من كتابه المذكور, بَيْـــدَ أني خَشِيتُ عدمَ ملاءمةِ الترجمة لحجم الكتاب.

---

(1) استقيتُ جُلَّ هذه الترجمة من >سبيل التوفيق< للمؤلف.

وقد شدَّ مني العَزْم على اختيار الثاني, ما وجدته في سيرته من مدعاةٍ لتحريك الهمَّةِ للجدِّ والعمل, ومجلاةٍ للقلــوب مــن الــصدأ والكسل.

فنقلت ترجمته كاملةً من >بدع التفاسير< في الطبعــة الأولى لهذا الكتاب, قبل أن أَطَّلِعَ على كتابه >سبيل التوفيق< الذي ترجم فيه لنفسه ترجمةً واسعةً سنة 1404هــ, وقدَّر الله تعالى لي زيــارة شيخنا العلامة المبارك محمد عوامة أمدَّ الله في بقائه في شهر شوال لسنة 1421هــ في مكتبه في المدينة المنورة, فوجَّه إليَّ ملحوظــة حــول الترجمة, مفادها أن أهذِّب الترجمة وأخرجها بثوب جديد يتلاءم مع حجم الكتاب, وخاصة أن ترجمته في >بدع التفاسير< قبل وفاتــه بفترة طويلة, فما كان لفقير مثلي, إلا أن يستجيب لتوجيــه شــيخ جليلٍ عالمٍ كشيخنا حفظه الله تعالى, إذ إن الشيخ محمد عوامــة مــن خواصِّ تلامذة المؤلف رحمه الله تعالى.

* * *

● **اسمه ونسبه**

هو: عبد الله ابن الإمام أبي عبد الله شمس الدين محمــد ابــن

العارف بالله محمد الصِّدِّيق ابن العلامة النحوي شيخ القرَّاء أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن محمد ابن عبد المؤمن بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الله ابن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن سعيد بن مسعود بن الفضيل بن علي بن عمر بن العربي بن علال ـــ وهو علي باللهجة المغربية ـــ ابن موسى بن أحمد بن داود بن تاج المغرب إدريس الأكبر, ابن عبد الله الكامل, ابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ‘.

● **كنيته**

أبو الفضل, كنى بها نفسه, لأنها كنية ثلاثة حفَّاظٍ كان يحبُّهم, العراقي, وابن حجر, والسيوطي.

وكناه أخوه أحمد بأبي المجد.

وكناه القاضي عبد الحفيظ الفاسي بأبي سالم.

وكناه العالم الفاضل محمد الباقر الكتاني بأبي السنا.

● **ولادته ونشأته**

ولد آخر يوم من جمادى الآخرة, أو غرَّة رجب سنة

1328هـ بثغر طنجة, وفي سنة 1329هـ رحل والده مع العائلة لأداء فريضة الحج.

وحين صار عُمُره خمس سنين تقريبًا, التحق بالمكتب في الجامع, فقرأ على الشيخ عبد الكريم البَرَّاق الأنجري, جزءًا من الختمة, ثم أكمل على الشيخ محمد الأندلسي المصوَّري, وأعاد أربع ختمات أخرى حفظ فيها القرآن جيدًا بقراءة ورش.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: ولم يكن لي اعتناء بالتجويد, ولم نكن نسمع به, لأنه انقرض من أكثر من مئة سنة, لا يعرفه كبار العلماء بالمغرب فضلاً عمن دونهم, مع أن ابن الجزري يحكي الإجماع على تحريم قراءة القرآن بدون تجويد.

لذلك لَمَّا عزمنا على السفر إلى القاهرة, أمرني الوالد أن أتعلم التجويد.

● سفره ورحلاته

أولُ سفرٍ في طلب العلم للمؤلف رحمه الله تعالى, كان إلى فاس, حيث التحق بجامعة القرويين, التي كانت الدراسة فيها على

الطريقة القديمة ــ أي على نظام حَلَقات العلم ــ ثم بعد فترة عاد إلى طنجة, فمكث فيها سنةً, عاد بعدها إلى فاس لإتمام طلب العلم.

وفي أواخر شعبان سنة 1349هـ, توجه على متن باخرة إلى الإسكندرية, فمكث أسبوعًا بالإسكندرية, ثم توجه إلى القاهرة, وكان برفقة أخيه الأكبر والزمزمي, والتحق بالدراسة بالأزهر, وبعد شهرين تقدم لامتحان شهادة العالِمِيَّة الخاصة بالغرباء, ونال الشهادة بتفوق.

وفي سنة 1354هـ توفي الشيخ محمد بن الصِّدِّيق والد المؤلف, فعاد إلى طنجة وبقي مدة ثمانية أشهر ثم رجع إلى القاهرة.

ومن البلاد التي زارها رحمه الله تعالى: الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبي, دبي, الشارقة) وقطر سنة 1399هـ.

وزار الأردن (عمَّان) مرتين, الأولى مكث فيها ثلاثة أيام, والثانية نزل فيها عشرة أيام, ثم زار السودان (أم درمان) في نفس السنة.

وفي سنة 1401هـ زار أمريكا على سبيل الفسحة بطلبٍ

من السيد أحمد درويش, ودامت زيارته عشرة أيام.

وفي سنة 1402هـ, كرر الزيارة لأمريكا لأجل إجراء عمليةٍ في عينه, أقام في (شيكاغو) ثلاثة أشهر في منزل محمد علي كلاي, وكان رحمه الله تعالى متضايقًا كثيرًا لأنه لم يسمع طول هذه المدة أذانًا للصلاة, ولم يرَ شخصًا يقول لا إله إلا الله, ولم يرَ للمسلمين من مظاهر الإسلام هناك إلا الذهاب إلى صلاة الجمعة في المسجد.

ومن رحلاته أيضًا: رحلة فريضة الحج سنة 1396هـ, وقد التقى فيها بالمدينة المنورة بالشيخ بكر أبو زيد, وكان قاضيًا ورئيس الحرم النبوي.

والتقى أيضًا بالشيخ حمَّاد الأنصاري الذي سبق له أن التقى به في المغرب.

ولما عزم على الذهاب إلى مكة اتصل الشيخ بكر هاتفيًا بالقاضي محمد الرفاعي, فاستقبله عند المكتبة الإمدادية, وذهب به إلى بيته, فجلس عنده شهرًا كاملاً, زار فيها الشيخ عبد العزيز بن باز في دار الدعوة والإفتاء, فاستقبله استقبالاً طيبًا.

وفي سنة 1401هـ رحل إلى الحج فترل في دار العلوم الدينية بِجَرْوَل عند الشيخ ياسين الفاداني, والتقى بكثير من العلماء من اليمن وسوريا وأندونيسيا, وغيرها فضلاً عن علماء مكة.

ومن العلماء الذين التقى بهم في هذا الموسم: الشيخ زكريا بن عبد الله جيلا, والشيخ محمد الشاذلي النيفر شيخ علماء تونس, والشيخ عبد الفتاح أبو غدة, والشيخ إسماعيل الزين اليمني المكي, والشيخ أحمد جابر جبران, والشيخ محمد عوض الزبيدي, والسيد محمد علوي المالكي, والشيخ أحمد نور سيف.

وكان معه في هذه الحَجَّة أخوه الشيخ عبد العزيز.

وفي عمرة شعبان سنة 1404هـ, التقى بجماعة من تلامذته, منهم: الشيخ محمد علي مراد الحَمَوي الحنفي رحمه الله تعالى, والشيخ محمد الحامد الحَمَوي رحمه الله تعالى, والشيخ محمد عوَّامة, والشيخ خليل ملا خاطر, والشيخ وهبي سليمان الألباني, والشيخ عبدُ الرحمن الكعكي, والشيخ حماد الأنصاري, والشيخ عطية السالم, والشيخ

المختار الشنقيطي, والسيد أحمد عبد الجواد[1].

ثم رحل إلى مصر مراتٍ عديدة رحمه الله تعالى.

● الشهادات التي حصل عليها

* شهادة رسمية بإمضاء قاضي طنجة, فيها أن المؤلف حضر في العلوم الدينة خمس سنوات.

* شهادة العالِمِيَّة الخاصة بالغرباء.

* شهادة العالِمِيَّة الأزهرية.

● العلوم التي حصَّلها

* منها ما تلقاه عن الشيوخ بالقرويين والأزهر وهـــو: علـــم العربية, والفقه المالكي والشافعي, والأصول, والمنطـــق, والتفـــسير, والحديث, والمصطلح والتوحيد, والمقولات, وعلم الوضـــع, وآداب علم البحث والمناظرة, والفرائض.

* ومنها ما لم يتلقه من أحد وهو: علوم البلاغة, والتجويـــد,

---

(1) هذه الأسماء ليست على سبيل الحصر؛ لأن طلاب العلم كانوا يتوافدون عليه من كل مكان.

والترقيم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: ومعرفتي لهذه العلوم, ليست بدرجة متساوية بل منها ما أنا قوي فيه, كالنحو والأصول والمنطق والحديث والتفسير.

ومنها ما أنا فيه متوسط, كالفقه والمقولات, والوضع وآداب المناظرة.

ومنها ما أنا فيه دون المتوسط وهو علم الفرائض.

● شيوخه

أ ـــ من المغرب:

1 ـــ والده السيد الشيخ محمد بن الصدّيق رحمه الله تعالى.

2 ـــ أخوه أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق.

3 ـــ محمد بن الحاج السُّلمي.

4 ـــ القاضي العباس بن أبي بكر بَناني.

5 ـــ السيد أحمد بن الجيلاني الأمغاري.

6 ــ فتح الله البناني الرباطي.

7 ــ الراضي السناني, الشهير بالحنش.

8 ــ أبو الشتاء بن الحسن الصنهاجي.

9 ــ محمد الصنهاجي, وهو أخو السابق.

10 ــ أحمد بن الطيب القادري.

11 ــ عبد الله الفضيلي.

12 ــ عبد الرحمن بن القرشي العلوي.

13 ــ الشريف الحبيب المهاجي.

14 ــ محمد بن الحاج السلمي.

15 ــ القاضي الحسين العراقي.

16 ــ محمد المكي بن محمد البطاوري.

17 ــ المهدي بن العربي بن الهاشمي الزرهوني.

18 ــ الملك إدريس بن محمد المهدي بن محمد بن علي السنوسي.

19 ــ القاضي المسند عبد الحفيظ بن محمد الطاهر ابن عبد الكبير الفاسي.

20 ــ أبو القاسم بن مسعود الدباغ.

21 ــ محمد بن إدريس القادري الحسني الفاسي.

22 ــ الطاهر بن عاشور التونسي المالكي, شيخ جامع الزيتونة.

ب ــ من مصر:

23 ــ محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي.

24 ــ أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي الحنفي.

25 ــ محمد إمام بن برهان الدين أبي المعالي إبراهيم ابن علي بن حسن الشبرافومي الشهير بالسقا الشافعي.

26 ــ محمد بن إبراهيم الحميدي السمالوطي المالكي.

27 ــ محمد بن محمد خليفة الأزهري الشافعي.

28 ــ أحمد بن محمد بن محمد الدلبشاني الموصلي القــاهري الحنفي الضرير.

29ــ بهاء الدين أبو النــصر بــن أبي المحاســن القــاوقجي الطرابلسي.

30 ــ كمال الدين بن أبي المحاســن القــاوقجي, لم يلقــه المؤلف, وإنما استجازه أخوه أحمد رحمه الله تعالى للمؤلف.

31 ــ محمد الخضر بن حسين التونسي.

32 ــ أبو الوفاء خليل بن بدر بن مصطفى الخالدي المقدسي الحنفي وهو من ذرية خالد بن الوليد.

33 ــ محمد دويدار الكفراوي التلاوي الشافعي.

34 ــ طه بن يوسف الشلبيني الشافعي.

35 ــ عبد المجيد بن إبراهيم بن محمد اللّبان.

36ــ المؤرخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي الصنعاني اليمني.

37 ــ الأديب عويد بن نصر الخزاعي المكــي ثم المــصري الشافعي الضرير وهو مكي الأصل.

38 ــ محسن بن ناصر باحربة اليمني الحضرمي الفقيه الشافعي.

39 ــ محمد بن محمود خفاجة الدمياطي الشافعي شيخ علماء دمياط.

40 ــ عبد الغني طموم الحنفي.

41 ــ محمد بن إبراهيم الببلاوي المالكي الفيلسوف.

42 ــ محمد بن عبد اللطيف خضير الدمياطي الشافعي.

43 ــ المؤرخ السيد محمد بن محمد زبارة الصنعاني الحسني.

44 ــ محمود ابن الإمام عبد الرحمن المنصوري الحنفي الأزهري.

45 ــ محمد زاهد الكوثري.

46 ــ محمد بن حسنين بن محمد مخلوف العدوي المالكي.

47 ــ عبد المجيد الشرقاوي, وهو من ذرية العلامة عبد الله بن حجازي الشرقاوي صاحب المؤلفات العديدة.

48 ــ محمد عزت.

49 ــ يوسف بن إسماعيل النبهاني, رئيس المحكمة الـــشرعية العليا في بيروت.

جــ ــ من الحجاز:

50 ــ عمر حمدان بن عمر بن حمدان المحرسي التونـــسي ثم المدني.

51 ــ عبد القادر بن توفيق الشلبي الطرابلـــسي ثم المـــدني الحنفي.

52 ــ الْمُعَمَّر محمد المرزوقي بن عبد الرحمن, أبو الحـــسين المكي الحنفي.

53 ــ صالح بن الفضيل التونسي, ثم المدني الحنفي.

54 ــ المسند المعقولي عبد الباقي بن ملا علي بن ملا محمـــد معين اللكنوي الأنصاري المدني الحنفي.

55 ــ أحمد التبر المغربي الفاسي.

56 ــ محمد ياسين الفاداني المكي.

د ــ من الشام:

57 ــ محمد سعيد بن أحمد الفرا الدمشقي الحنفي, وهو سبط ابن عابدين المشهور.

58 ــ الزاهد بدر الدين بن يوسف بن بدر الدين بن علي بن شاهين البيباني الدمشقي الشافعي شيخ دار الحديث بدمشق.

59 ــ عبد الجليل بن سليم الذرا الدمشقي.

60 ــ العلامة المؤرخ محمد راغب بن محمود الطباخ الحلبي الحنفي.

61 ــ عطاء بن إبراهيم بن ياسين الكسم الدمشقي الحنفي.

هـ ــ من النجف:

62 ــ هبة الدين الحسيني الشيعي.

و ــ من النساء:

63 ــ أم البنين آمنة بنت عبد الجليل بن سليم الذرا الدمشقي.

* * *

● تلامذته

له تلاميذ كثر, أذكر أعيانهم:

1 ــ أخوه الزمزمي.

2 ــ أخوه عبد الحي.

3 ــ أخوه عبد العزيز.

4 ــ أخوه حسن.

5 ــ أخوه إبراهيم.

6 ــ المنتصر الكتاني.

7 ــ أستاذنا الفاضل الدكتور علي جمعة المصري[1].

8 ــ صالح الجعفري.

9 ــ محمد الحامد الحَمَوي.

---

(1) الذي أُتحفت بلقائه والحضور عنده في حلقاته الخاصة, في رواق الأتــراك في الأزهر, وقد أكرمنا أفضل إكرام في المبيت عنده عدة أيام, زرت فيها مكتبته الذاخرة, وأمضينا فيها ليلة كاملة بصحبة الدكتور أحمد السيد عبد العزيز.

10 ـــ شيخنا العلامة الراحل أبو زاهد عبـــد الفتـــاح أبـــو غدة[1].

11 ـــ شيخنا العلامة محمد عوامة. أمدَّ الله في بقائه.

12 ـــ شيخنا الفقيه محمد علي مراد الحموي رحمه الله تعالى.

13 ـــ المقرئ عبد العزيز عيون السود.

14 ـــ فاروق حمادة.

15 ـــ حمدي أصلان جافا الألباني.

16 ـــ محمود حسن.

17 ـــ حسين البتانوني.

18 ـــ عبد الوهاب عبد اللطيف.

19 ـــ مجد أحمد مكي الحلبي.

20 ـــ محمود سعيد ممدوح المصري.

---

(1) الذي أُتحفتُ بمجالسته أكثر من مرة في حلب أول عودته إليها بصحبة شيخنا العلامة الشيخ محمد عدنان الغشيم, فاستجازه لي ولأخي الشيخ ياسر نجـــار فأجازنا رحمه الله تعالى.

● ثناء العلماء عليه

* قال فيه والده الشيخ محمد بن الصديق: هو تحفة.

* وأثنى عليه أخوه أبو الفيض كثيرًا.

* وقال فيه الشيخ عباس بناني: ليس في القرويين مثله.

* وكتب الشيخ زاهد الكوثري مقالة نُشِرَتْ بمجلة الإسلام قَرَّظ فيها كتاب >إقامة البرهان<, وأثنى فيها كثيرًا على المؤلف, لكن الذي جمع مقالات الكوثري ـ سامحه الله ـ حذفها من المقالات لشيءٍ كان بينه وبين الشيخ عبدُالله الغماري, وهذه خيانة علمية.

وكان الشيخ زاهد رحمه الله في مكان يغصّ بالعلماء وغيرهم, فَوجَّه إليه أحدُ الحاضرين سؤالاً عن حديث, فوجه السؤال إلى الشيخ عبد الله وقال: لا يُفتَى ومالك في المدينة.

* وقال الشيخ محمود شويل إمام المسجد النبوي للمؤلف: لَمَّا تتبعت مقالاتِكَ بمجلة الإسلام علمت أن الحديث لم ينقرض.

* وقال فيه الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبي: نابغة.

* وقال فيه الشيخ محمد الحافظ التجاني: كنز السنة.

* وذكر الشيخ محمد حسين الذهبي بأن الشيخ عبد الله ساعده في كتاب >التفسير والمفسرون< من الناحية الحديثية.

* وسألت شيخنا الدكتور فوزي فيض الله في منزله في حلب عن الشيخ عبد الله الغماري فقال لي: جاورته في القاهرة سبع سنوات, فكأن لحيته تتقطر سُنَّة.

● **مؤلفاته**[1]:

1 ـ شرح الآجُرُّوميّة >تشييد المباني لتوضيح ما حوته الآجرومية من الحقائق والمعاني<.

2 ـ إعلام النبيل بجواز التقبيل.

3 ـ الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج.

4 ـ إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء.

5 ـ قمع الأشرار عن جريمة الانتحار.

---

(1) حاولت ذكر جُلِّ مؤلفاته, فإن فاتني شيء فمن نفسي وأستغفر الله.

6 ــ الأربعون الغمارية في شكر النعم.

7 ــ الأربعون الصديقية في مسائل اجتماعية.

8 ــ الرد المحكم المتين على كتاب >القول المبين< وهو رد على كتاب >القول المبين في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبيـــاء والصالحين< لمحمد مخيمر.

9 ــ سمير الصالحين. جزءان.

10 ــ فضائل القرآن. جزءان.

11 ــ حسن البيان في ليلة النصف من شعبان.

12 ــ غاية الإحسان في فضل رمضان.

13 ــ كمال الإيمان في التداوي بالقرآن, وهو كتابنا هذا.

14 ــ إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان.

15ــ عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام.

16 ــ التحقيق الباهر في معنى الإيمان بالله واليوم الآخر.

وهذه الكتب الأربعة الأخيرة ألفها ردًّا على الـــشيخ محمـــود

شلتوت الذي أنكر التداوي بالقرآن, وأنكر نزول عيسى عليه السلام, وقال: لا حاجة إلى الإيمان بالنبي ، وأن أهل الكتاب نـــاجون يـــوم القيامة.

وأخبرني شيخنا الدكتور نور الدين عتر أنه قيل: قـــد رجـــع الشيخ شلتوت عن هذه الآراء الشاذة آخر حياته لذا كـــان بعـــضُ شيوخ أستاذنا الدكتور نور الدين قد أمروا تلامـــذهم بـــالخروج في جنازة الشيخ شلتوت.

17 ــ قرة العين بأدلة إرسال النبي ، إلى الثقلين, وهـــو ردٌّ على الدكتور محمد البهي الذي ألقى محاضرة في الإذاعة يزعم فيهـــا ظنية إرسال النبي ، إلى الجن.

18 ــ واضح البرهان على تحريم الخمر في القرآن, وهـــو رد على مقالة نشرت في الجامعة على أن الله تعالى لم يحرم الخمر بقوله: {فَٱجۡتَنِبُوهُ}.

19 ــ نهاية الآمال في صحة حديث عرض الأعمال, وهو رد على محمد مخيمر الذي زعم إبطال الحديث. وكذا على الألباني لأنه

وضعه في الأحاديث الضعيفة.

20 ــ الحجج البينات في إثبات الكرامات, وقد ألفه طلبًا من الشيخ محمد عمارة.

21 ــ الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء.

22 ــ نهاية التحرير في حديث توسل الضرير.

23 ــ المعارف الذوقية في أذكار الطريقة الصدّيقيّة.

24 ــ الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله ‘.

25 ــ قصة آدم.

26 ــ قصة إدريس.

27 ــ هاروت وماروت.

28 ــ تخريج أحاديث اللمع في الأصول.

29 ــ مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر.

30 ــ اختصار إرشاد الفحول للشوكاني.

31 ــ فضائل رمضان وزكاة الفطر.

● مؤلفاته في السجن

32 ـــ فضائل النبي ' في القرآن.

33 ـــ النفحة الإلهية في الصلاة على خير البرية.

34 ـــ سمير الصالحين.

35 ـــ القول المسموع في الهجر المشروع, لكن المؤلف رحمه الله تعالى رجع عن جميع ما في هذه الرسالة آخر عمره, وبيّن ذلــك في رسالة جديدة أسماها:

36 ـــ النفحة الذكية في أن الهجر بدعة شركية.

37 ـــ جواهر البيان في تناسب سور القرآن.

38 ـــ بدع التفاسير.

39 ـــ تمام المنة في بيان الخصال الموجبة للجنة.

40 ـــ خواطر دينية. جزءان.

41 ـــ الأحاديث المختارة.

42 ـــ الكتر الأمين في أحاديث النبي الأمين '.

43 ــ إتحاف النبلاء بفضل الشهادة وأنواع الشهداء.

● **مؤلفاته بالمغرب**

وذلك حين رجع من مصر سنة 1389هـــ:

44 ــ الرؤيا في القرآن والسنة.

45 ــ البيان المشرق لوجوب صيام المغرب برواية المـــشرق, وهو رد على أخيه الزمزمي.

46 ــ الحجة المبينة لصحة فهم عبارة المدونة.

47 ــ التنصل والانفصال من فضيحة الإشكال. وهـــو رد على أخيه الزمزمي أيضًا الذي أورد إشكالاً يعترض فيه على الـــذين يصومون مع مصر.

48 ــ تنوير البصيرة ببيان علامات الكبيرة.

49 ــ الرأي القويم في وجوب إتمام المسافر خلف المقيم.

50 ــ الصبح السافر في تحرير صلاة المسافر.

51 ــ الأدلة الراجحة على فرضية قراءة الفاتحة.

52 ــ الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام, وهـــو رد

على من ادعى أن التصوف مأخوذ من عُبَّاد النصارى وغيرهم.

53 ــ إعلام النبيه بسبب براءة إبراهيم من أبيه.

54 ــ تنبيه الباحث المستفيد إلى ما في الأجزاء المطبوعة من التمهيد, وفيه التنبيه على أخطاء وقعت في الأجزاء الثلاثة الأولى من كتاب التمهيد لابن عبد البر.

55 ــ كيف تشكر النعمة, وسبب تأليفه أنه وجد أهل المغرب إذا أكلوا قالوا: اللهم أدِّ عنا شكر النعم.

56 ــ رفع الإشكال عن مسألة المحال.

57 ــ القول السديد في حكم اجتماع الجمعة والعيد, وهي رد على الشوكاني.

58 ــ أمنِيَّةُ المتمني في تحريم التبني.

59 ــ التنصيص على أنَّ الحَلْقَ ليس بتنميص.

60 ــ ذوق الحلاوة في بيان امتناع نسخ التلاوة.

61 ــ إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة.

62 ــ الإحسان في تعقب الإتقان.

63 ــــ حسن التفهم والدرك لمسألة الترك.

64 ــــ المهدي المنتظر.

65 ــــ حسن التلطف في بيان وجوب التصوف.

66 ــــ القول الجزل فيما لا يعذر فيه بالجهل.

67ــــ إعلام الراكع الساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد.

68 ــــ استمداد العون لإثبات كفر فرعون.

69 ــــ فتح الغني الماجد بحجية خبر الواحد.

70 ــــ قصة داود عليه السلام.

71ــــ توجيه العناية لتعريف علم الحديث رواية ودراية.

72 ــــ منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقــوف الـــشيخ الهبطي.

73 ــــ أجوبة مهمة في الطب, عـــن أســئلة طلبـــة طـــب الإسكندرية.

74 ــــ التوقي والاستتراه عن خطأ البناني في معنى الإله.

75 ــ توضيح البيان لوصول ثواب القرآن.

76 ــ كيف تكون محدثًا.

77 ــ إزالة الالتباس عما أخطأ فيه كثير من الناس.

78 ــ الأخطاء الجسام في التعليقات على كتاب شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام.

79 ــ تفسير القرآن الكريم بالأحاديث المرفوعة الثابتة, وصل فيه إلى سورة هود, ولا أدري إن أكمله أو لا.

لكنني التقيت بتلميذ المؤلف الشيخ عبد الله التليدي حفظه الله في رمضان الفائت سنة 1421هـ, في بيت الله الحرام أمام الكعبة المشرفة, وكان بيده كتاب في تفسير القرآن الكريم أعدَّه للطباعة, ألَّفه على طريقة الشيخ عبدُالله الغماري, سَهَّل الله تعالى إخراج هذا الكتاب.

80 ــ الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة.

81 ــ إرشاد الأنام إلى ما يتلى من الصلوات والأدعية في الأيام.

82 ـــ أسماء الرجال الذين قال فيهم الهيثمي في مجمع الزوائد: لم أعرفه أو لم أجد له ترجمة.

83 ـــ سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصّدِّيق.

● مؤلفات ضاعت في حياة المؤلف

84 ـــ الجزء الثاني من خواطر دينية. لكنه ظهر وطبع بعد وفاته.

85 ـــ أولياء وكرامات, لكنه ظهر وطبع بعد وفاته.

86 ـــ أفضل مقول في أفضل رسول.

وسبب ضياعها في حياة المؤلف رحمه الله تعالى أنه بعثها إلى صاحب مكتبة القاهرة ليطبعها, فأمهل, ثم مرض مرضًا أنساه أين وضع الكتب, فبحث عنها ابنه في مخزن الكتب فلم يجدها.

● ما علّقه المؤلف على الكتب[1]

---

(1) يجدر التنبيه أن بعض المطابع وضعت اسم المؤلف على كتاب >الشرح الكبير< في فقه المالكية. وعلى كتاب الأذكياء لابن الجوزي, وعلى كتاب آكام المرجان في أحكام الجان, وكل ذلك بغير علمه, لترويج الكتب.

87 ــ على المقاصد الحسنة

88 ــ على كتاب أخلاق النبي ' لأبي الشيخ.

89 ــ على كتاب الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي.

90 ــ على تتريه الشريعة, وقد كتب المؤلف رحمه الله اسم صديقه عبد الوهاب عبد اللطيف مجاملةً, مع أنه لم يكتب فيه حرفًا ولا كلمةً, وإنما كان يسجل ما كان يمليه عليه من تعليقات.

91ــ على كتاب الإرشاد لابن عسكر في الفقه المالكي.

92 ــ على شرح الأمير لمختصر خليل.

93 ــ على بداية السول في تفضيل الرسول, لعز الدين ابن عبد السلام.

94 ــ على بشارة المحبوب بتكفير الذنوب للقابوني.

95 ــ على رسالة ابن الصلاح في وصل البلاغات الأربعة.

96 ــ على النصيحة في الأدعية الصحيحة للمقدسي.

97 ــ على مسند أبي بكر للسيوطي.

98 ــ على مسند عمر للسيوطي.

99 ــ تعليق مستقل على رسالة لابن رجب في تحقيق كلمة الإخلاص, كانت مطبوعة بتحقيق الشيخ محمود خليفة والشيخ أحمد الشرباصي, فوقع لهما أوهام, نبه عليها في رسالة مستقلة اسمها: <أسباب الخلاص من الأوهام الواقعة في تحقيق كلمة الإخلاص>.

100 ــ على فيض الجود على حديث شيبتني هود للشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي.

101 ــ على الباهر في حكم النبي ‘ بالباطن والظاهر للسيوطي.

102 ــ على نتيجة الفِكْر في الجهر بالذكر للسيوطي.

103 ــ على تأييد الحقيقة العلية وتأييد الطريقة الشاذلية للسيوطي.

104 ــ على الخبر الدال على وجود الأقطاب والأبدال للسيوطي.

105 ــ على كتاب قوة الحجاج في عموم المغفرة للحجاج لابن حجر. وكتب المؤلف عليه اسم الشيخ عبد الوهاب عبد

اللطيف مجاملةً له أيضًا.

106 ــ على كتاب الاستخراج لأحكام الخراج.

107 ــ على سنة رفع اليدين في الــدعاء بعــد الــصلاة, للأهدل.

108 ــ على إعلام الأريــب بحــدوث بدعــة المحاريــب, للسيوطي.

109 ــ على مسالك الدلالة, لأخيه أحمد.

110 ــ على بلوغ المرام في أحاديث الأحكام, لابن حجر.

111 ــ على البرهان الجلي في تحقيق انتساب الــصوفية إلى علي, لأخيه أحمد.

112 ــ على الاعتقاد في مذهب السلف للبيهقي.

113 ــ على حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة.

114 ــ على المعجم الوجيز للمستجيز لأخيه أحمد.

وهناك كتب نشرها المؤلف ولم يعلق عليها, منها:

115 ــ الإكليل في استنباط التتريل. للسيوطي.

116 ــ تبيين العجب فيما ورد في رجب. لابن حجر.

تنبيه: أسلفت أن جُلَّ الترجمة استقيتها مـــن كتـــاب ســـبيل التوفيق للمؤلف, الذي تم الفراغ منه سنة 1404هـــــ, أي قبـــل وفاته بتسع سنوات تقريبًا, لذا ربما فاتني بعض مؤلفات الشيخ عبـــد الله خلال تلك الفترة, لكنني أذكر ما وجـــدت خـــلال بحثـــي في مكتبات القاهرة أثناء زيارتي لها سنة 1421هـــ, وهي:

117 ــ القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع.

118 ــ تعريف أهل الإسلام بأن نقل العضو حرام.

119 ــ إرشاد الجاهل الغوي إلى وجوب اعتقاد أن آدم نبي.

120 ــ جزء فيه الرد على الألباني, وهو مطبوع أكثر مـــن طبعة, إحداها باسم >إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي في الرد على الألباني الوبي<, وثانيها: قرأته بخط المؤلف بعنوان: >جزءٌ فيه الرد على الألباني<.

121ــ بيان صحيح الأقاويل في تفسير آية بني إسرائيل.

122 ــ السيف البتار لمن سبَّ النبي المختار.

123 ــ الفتاوى, وهي مجموعة مقالاته المكتوبة بمصر فقط جمعت في ثلاثة مجلدات, طبع منها الأول فقط فيما أعلم.

124 ــ تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث للبنتيني أحد علماء القرن الرابع عشر.

وهذا مطبوع في حياة المؤلف سنة 1385هـ.

ووجدت رسائل مطبوعة بتعليق المؤلف, ولا أدري صحة نسبتها إليه:

125 ــ شذا العطر في بيان ما يثبت به الصوم والفطر للأمين بن محمد زين الشهير بالناسخ.

126ــ تعليم المتعلم للزرنوجي تلميذ صاحب الهداية.

● إشارة إلى محنة الشيخ عبد الله الغماري رحمه الله تعالى

قال الشيخ عبد الله الغماري رحمه الله تعالى: أدركني ظلم جمال عبد الناصر كما أدرك كثيرًا من العلماء, فمكثت في السجن أحد عشر عامًا كاملة من 15 ديسمبر سنة 1959م إلى 26

ديسمبر سنة 1969م.

وقال في موضع آخر: كنت في صغري كثير الأمـــراض, حـــتى قالت مرة والدتي لوالدي رحمهما الله ورضي عنهما, ونحن على مائدة الطعام: أظنُّ أنَّ هذا الولد لا يعيش, فقال لها: بل سيعيش, وتمر عليه أزمة كبيرة, فكان مصداق كلامه, دخولَ السجن في عهد جمال عبد الناصر بتدبير مجرم مغربي, أكرمته غاية الإكرام, فدبر لي مع المباحث المصرية تهمة التجسس لحساب فرنسا على الجزائر وهي تهمة باطلة.

وحُكِمَ عليَّ بالإعدام, وبعد الحكم, حلفتُ للصحفيين الذين كانوا ملتفين حولي أني لن أعدم, فتعجبوا!!.

ومما عدَّه المصريون من كراماتي: أن القاضي المسيحي الـــذي حكم عليَّ, لم يمر عليه شهران حتى ألقى بنفسه من سطح بيته فمات منتحرًا.

● **وفاته**

توفي الشيخ عبد الله الغماري رحمه الله تعالى سنة 1413هـــ.

*   *   *

فـــوائـــد

أفاد صنيع المؤلف رحمه الله تعالى باختياره عنوانَ كتابه (**كمال الإيمان في التداوي بالقرآن**) أن التداوي والاسترقاء بالقرآن الكـــريم من كمال الإيمان, ولا يتنافى مع التّوكُّل, وهذا هو المعروف عند جميع الأمة من العلماء.

لكنَّني أردتُ بعون الله تعالى: أن أذْكُرَ شبهةً أوردها بعـــضُهم مستدلّين لها ببعض الأحاديث والآثار, وأنبّهَ عليهـــا القـــرَّاءَ, إذ إنَّ المؤلف رحمه الله تعالى لم يتعرَّض لها.

وأن أُتبعَ ذلك الرّدَّ بحثًا علميًّا مهمًّا يتعلّق بالتداوي بـــالقرآن, حملني عليه أحد الإخوة الفضلاء إذ قال لي: نريدُ بحثًا طيِّبًا وتجـــاربَ حيّةً تدعمُ اعتقادَ المؤمن المسلم وتزيدُه إيمانًا, وترغِمُ عقلَ الجاحـــد الذي لا يؤمن إلا بالتجربة والمشاهدة.

* **الشُّبهة:**

قال أصحابُها: إنّ التداويَ يتعارضُ مع التوكـــلِ, واســـتدلّوا بحديث ابن عباس عند البخاري ومسلم: **>سبعون ألفًـــا يـــدخلون الجنَّة بغيرِ حساب<** ثم بيّنَ رسول الله ' مَنْ هم, فقال: **>هم الذين لا يتطيّرون ولا يَسْتَرْقُون ولا يكتوون وعلى ربهـــم يتوكّلـــون<** ـــ هذا لفظ البخاري في كتاب الطب باب من لم يَرْقِ ـــ واستدلوا بحديث المغيرةِ بن شعبة عند الترمذي في كتاب الطب: باب ما جـــاء في كراهية الرقية: **>من اكتوى أو اســـترقى فهـــو بـــريء مـــن التوكل<**.

*** الجواب عن هذه الشبهة:**

إنه لا معارضة بين هذه الأحاديث وبين التوكل؛ ولكي يتبيَّن ذلك ينبغي أن نفرِّق بين:

1 ـــ التداوي بالقرآن.

2 ـــ والتداوي بغيره, من الرُّقى والكيّ وسائر الأدوية.

فيُحْمَل حديث السبعين على من ترك التداوي بغـــير القـــرآن توكُّلاً على الله عز وجل؛ بمعنى: تركًـــا للمـــادة وتعلُّقًـــا بمـــسبب

الأسباب.

وأما مَنْ فعله ــ أي التداوي ــ فلا يكون تاركًا للتوكل, فكلا الأمرين فرارٌ من قَدَر الله إلى قَدَر الله عز وجل, لكن هؤلاء السبعين امتازوا من غيرهم بمزيد من الصبر واللجوء والتفويض إلى الله تعـــالى, ولو كان التداوي معارِضًا للتوكل لكان هؤلاءِ السبعونَ هم المتوكلين فقط, وما عداهم تركوا التوكل, علمًا أنَّ التوكـــل مطلـــوبٌ مِـــنَ المسلم, بَلْ هو أَمَارةُ إيمانه, وأن النبيّ ‘ ــ في مقام التشريع وتبـــيين الأحكام ــ قال:

1 ــ >**تَداوَوا عبادَ الله**< أخرجه أصحابُ السنن والحـــاكم وصحّحه ووافقه الذهبي.

2 ــ وأمر بالتوكل على الله تعالى أيضًا.

وأمَّا حديثُ الترمذي السابق: >**من اكتوى أو استرقى فهو بريءٌ مِنَ التوكل**< فيُحمل على الذي يـــسترقي معتمـــدًا علـــى الأسباب لا على الله تعالى, وهذا لا خلاف فيه بين العلماء, ويـــدلُّ عليه آثارٌ كثيرةٌ يطول سردُها, منها: قوله ‘ لأمِّ ســـلمة لَمَّـــا رأى في

بيتها جاريةً في وجهها سَفْعَةً ــ وهو تغيُّرٌ في لــون الوجــه ــــ: >**استرقوا لها فإنَّ بها النّظْرَة**<.. والحديث في صحيح البخــاري في الطب باب رقية العين برقم (5739), ومــسلم في الــسلام بــاب استحباب الرقية برقم (2197).

وأمَّا التداوي بالقرآن الكريم فهو من كمالِ الإيمان والتوكــلِ على الله تعالى, ولا يترّل مَنْ ترك التداويَ بــالقرآن بمترلــة الــذين يدخلون الجنة بغير حساب, بل من كمال توكلِ هــؤلاء المبــشَّرين بتلك البِشارةِ أنّهم يتداوون بالقرآن الكريم, ولو تعبُّدًا وامتثــالاً, لأن التداوي بالقرآن الكريم والذِّكْرِ كالدعاء, ولا يقوم به إلا مؤمن موقنٌ مصدِّقٌ بكلام الله تعالى, وذلك يقتضي التوكلَ عليه, والالتجاءَ إليه, الرغبةَ فيما عنده, والتَّبرُّكَ بأسمائه فلو لم يكن ذلك لما طُلب الدعاء.

وقد أخرج أحمدُ (276/4), وأبو داود في الصلاة باب الدعاء برقم (1479), والترمذي في التفسير باب سورة البقرة برقم (2969), والحاكم (491/1) وصححه, وابن حبان برقم (2396) (موارد الظمآن) بسند رجالُه ثقات, قال رسول الله ‘:

>**الدعاء هو العبادة, ثم قرأ** {ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}<
[غافر: 60].

ولا يُعكِّرُ على ما ذكرنا حديثُ عطاءِ بنِ أبي رباح ــ عند البخاري في كتاب المرضى: باب فضل من يُصرَعُ من الريح برقم (5652), ومسلم في البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض برقم (2576) ــ قال: قال لي ابنُ عباس رضي الله عنهما: ألا أُريكَ امرأةً من أهل الجنّة؟ قلتُ: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتتِ النبي ‘, قالت: إني أُصرَعُ وإنّي أتكشَّفُ فادعُ الله لي, قال: إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنَّة, وإن شئتِ دعوتُ اللهَ أن يعافيَكِ. فقالت: أَصْبِرُ. فقالت: إني أتكشَّفُ فادعُ الله لي ألا أتكشَّف, فدعا لها<.

فظاهرهُ أنّ النبي ‘ علم من حالها قوةَ الصبر والتحمُّلَ فخيَّرها..
فإن قيل: إنّه ‘ لم يَدْعُ لها أو يرْقِها بالقرآن عِلْمًا أنها مؤمنة موقنة بذلك, وأنتم قررتم أنه من كمال التوكل!!.

قلتُ: لا يقالُ ذلك لأنه اعتراضٌ في غير موضعه, فدخولُها

الجنة كان ثمرةَ صبرها وتحمُّلها, وقد عَلِمَ منها ذلك فترك الدعاءَ لهـــا بعد أن خيَّرها لمصلحةٍ عظيمةٍ لها أدْخَلَتْها الجنة, ولَمَّا وجد مفـــسدةً في تكشُّفها دعا اللهَ تعالى لها كما أفاده الحديث.

هذا بشأن الدعاء, فكيف بتلاوة القرآن الذي فيـــه الـــشفاء والدعاء والذكر.

وسيأتي تفصيلُ ذلك في كلام المؤلف رحمه الله تعالى.

*** تنبيه:**

إن أكثر الروايات لحديث: >**الذين يدخلون الجنـــة بغـــير حساب**< ذَكَرَتْ أربعَ صفاتٍ لهم, على تقديم وتأخير في بعـــضها >**هم الذين لا يتطيَّرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلـــى ربهـــم يتوكلون**<.

أمَّا رواية سعيد بن منصور التي عند مسلم: >ولا يرقـــون< بدل: >ولا يكتوون<, فقد قال الألباني رحمه الله: شاذّة سندًا ومتنًا. ـــ كما في هامش رياض الصالحين وسلسلته الصحيحة برقم (244) ومختصر صحيح مسلم ص 37 ـــ قد تابع في ذلك شيخ الإسلام ابنَ

تيمية رحمه الله إذ قال في مجموع الفتاوى (328/1): وروايةُ من روى في هذا <لا يرقون> ضعيفة غلط. وقال في موضع آخر (182/1): وقد رويَ فيه <ولا يرقون> وهو غلط, فإن رقياهم لغيرهم ولأنفسهم حسنة وكان النبي ‘ يرقي نفسه وغيره. اهـ.

ولكنَّ الحافظ ابنَ حجر رحمه الله تعالى نقل اعتراض الشيخ ابن تيمية والجواب عنه في الفتح (409/11) فقال: وقد أنكر الشيخ تقي الدين بن تيمية هذه الرواية, وزَعَم أنّها غلط من راويها, واعتلَّ بأن الراقي يُحْسِنُ إلى الذي يَرْقيه فكيف يكون ذلك مطلوبَ الترك!! وأيضًا فقد رقى جبريلُ النبي ‘, ورقى النبيُّ ‘ أصحابَه, وأَذِنَ لهم في الرُّقى, وقال: **<من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل>**[1] والنفع مطلوب.

قال: وأمّا المسترقي فإنه يَسألُ غيره ويرجو نفعَه, وتمام التوكل ينافي ذلك.

---

(1) أخرجه أحمد (302/3), ومسلم في كتاب السلام: باب استحباب الرقية من العين والنملة برقم (2199), والحاكم (415/4) وصححه. وابن حبان (290/2).

قال: وإنما المراد وصف السبعين بتمام التوكل, فلا يـــسألون غيرهم أن يرقيهم, ولا أنْ يكويَهم؛ ولا يتطيَّرون من شيءٍ.

وأجاب غيرُه: بأن الزيادة من الثقة مقبولة, وسعيد ابن منصور حافظ, وقد اعتمده البخاري ومسلم, واعتمد مسلم علـــى روايتـــه هذه؛ وبأن تغليطَ الراوي مع إمكان تصحيحِ الزيادة لا يُصار إليـــه, والمعنى الذي حمله على التغليط موجود في المسترقي لأنه اعتلَّ بـــأنَّ الذي لا يطلب من غيره أن يرقيه تامُّ التوكل, فكذا يقال له: والذي يفعل غيرُه به ذلك ينبغي أن لا يمكّنَه منه, لأجْلِ تمام التوكل, وليس في وقوع ذلك من جبريل دَلالةً على المدّعى, ولا في فعل النبي ' لـــه أيضًا دلالة, لأنه في مقام التشريع وتبيين الأحكام. اهــ من كلام ابن حجر.

ويؤيد ذلك أن البخاري ترجم لهذا الحديث (بـــاب مـــن لم يَرْقِ..) وقد ضبط الترجمةَ الحافظُ ابنُ حجر فقال: هو بفـــتح أولـــه وكسر القاف مبنيًّا للفاعل, وبضمّ أوَّله وفتح القاف مبنيًّا للمفعول.

فدلَّ ذلك على أنّ الحكم واحد بالنسبة للراقي والمسترقي.

فبذلك يندفع ما ذكره الشيخ الألباني رحمه الله من الشذوذ في

المتن والسند. والله تعالى أعلم.

* فائدة مهمة تتعلّق بالتداوي بالقرآن الكريم

مما يتبادرُ إلى ذهنِ المرء حين سماعه مثلَ هذه الكلمة ــ أقصدُ التداويَ بالقرآن الكريم ــ سؤالٌ هو: هل للقرآن تأثيرٌ حسيٌّ عضويٌّ أو روحي نفسيٌّ؟ أو له تأثيرٌ جسميٌّ ونفسيٌّ معًا؟.

لقد سألتُ نفسي هذا السؤال, مما جعلني أطيلُ البحثَ عن جواب علمي, ليس لشكٍّ في نفسي ــ معاذ الله ــ بل ليكون البرهانُ آكدَ, والآيةُ أبهرَ, لعبيدِ المادة والطبيعة, وسكَنًا وطمأنينةً لكلِّ مسلم ومؤمن, فأسعفني الله تعالى بمقالةٍ نَشَرَتْها مجلَّةُ (منار الإسلام) في إبريل ــ نيسان ــ 1986, تحت عنوان (أحدث التجارب العلمية في أمريكا تؤكّد تأثيرَ الألفاظ القرآنية في علاج التوتر العصبي) للأستاذ أبي إسلام أحمد عبد الله.

وفحوى هذه التجارب الإجابة عن تساؤلات كلِّ إنسان: كيف يحقق القرآن تأثيره في الشفاء؟ وهل هذا التأثير عضوي أو روحي؟ أو مشترك من الاثنين معًا؟.

وقد أُجريتْ تجارِبُ على متطوِّعين يُجيدونَ العربية, تتمثَّـــلُ بإسماعهم مقاطعَ عربيةً قرآنية مُنَغَّمَةً, وأخرى عربية منغمة غير قرآنية, وأخرى على متطوِّعين غير متحـــدِّثين بالعربيـــة, مـــسلمين وغـــير مسلمين, تُليتْ عليهم مقاطعُ من القرآن الكريم باللغـــة العربيـــة, ثم تُليَتْ عليهم ترجمة هذه المقاطع بالإنكليزية, وجميع هذه التجـــارب قامت بها إحدى المؤسسات العلمية الطبية الإسلامية الكائنة بمدينـــة (بنما سيتي) بولاية (فلوريدا) الأمريكية.

*** نتيجة تلك التجارب**

أثبتت التجاربُ وجودَ أثر مهدِّئ للقرآن الكريم في 97% من مجموع التجارب, في شكل تغيُّرات تدلُّ على انخفاض درجة تـــوتُّر الجهاز العصبي.

وقد عزا الأطباء ظهورَ هذا التأثير للقرآن الكريم إلى عاملين:

الأول: صوت الألفاظ القرآنية باللغة العربية, بغضِّ النظر عمّا إذا كان المستمع قد فهمها أو لم يفهمها, وبغضِّ النظر عـــن إيمـــان المستمع.

الثاني: فهم معاني المقاطع القرآنية الـــتي تُليـــتْ وإن كانـــت مقتصرة على التفسير بالإنجليزية, دون الاستماع إلى الألفاظ القرآنية باللغة العربية.

(لكنَّ المرحلة الآتية من التجارب ستُثبت أنَّ هذا العامل ليس له أثر).

ثم أَجْرَوا تجاربَ أخرى في مرحلة أخرى, كانت الغاية منـــها أن يعرفوا: أَلِكلماتِ القرآن تأثيرٌ وإنْ لم تُفهَمْ, أم ذلك التأثير لأشياءَ أخرى, كالصوتِ أو لحنِ القراءةِ أو المعنى؟

وقد استُخْدِمَ جهازٌ خاصٌّ مزوَّدٌ بحاسوب يقوم بقيـــاس ردود الفعل الدالَّة على التوتر بوسيلتين:

الأولى: الفحص النفسي المباشر عن طريق الحاسوب.

الثانية: مراقبة التغيُّرات الفيزيولوجية في الجسد عن طريق:

1 ــ برنامج للحاسوب يشمل الفحص النفساني, ومراقبـــة وقياس التغيُّرات, ثم طباعة تقرير النتائج.

2 ــ أجهزة مراقبة إلكترونية مكوَّنة من أربع قنوات:

* قناتين لقياس التيارات الكهربائية في العضلات معبِّرةً عـــن ردود الفعل العصبية.

* قناة لقياس قابلية التوصيل الكهربائي للجلد.

* قناة لقياس الدورة الدّموية في الجلد, وعدد ضربات القلب, ودرجة حرارة الجلد.

فمع زيادة وانخفاض درجة حرارة الجلـــد تُـــسرع ضـــربات القلب, ومع الهدوء ونقصان التوتر تتسع الشرايين, وتزداد كمية الـــدم الجاري في الجلد.

وبهذه الاستعدادات:

تمَّ إجراء 210 تجربة, على خمسة متطوّعين, ثلاثـــة ذكـــور وأُنثيين, متوسط عمرهم 22 سنة, وكلُّ المتطوّعين كانوا غير مـــسلمين وغير ناطقين باللغة العربية في هذه المرحلة.

وقد تُليت على المتطوِّعين مقاطعُ قرآنية بالعربية خـــلال 85 تجربة, وتليت عليهم مقاطع عربية منغّمة غير قرآنية خلال 85 تجربـــة أخرى, وروعيَ فيها أن تكون منغّمةً بحيث تكون شـــبيهةً بتنغـــيم

القرآن من حيث الصورةُ واللفــظُ والوقْــعُ في الأذن, ولم يــستمعْ المتطوّعون لأيٍّ قراءة خلال 40 تجربة أخرى سمّيت تجارب الصمت.

وكان المتطوّعون فيها جالسين جلسةً مريحةً, وأعينُهم مغمضة, وهي نفس الحالة التي كانوا عليها في أثناء التجارب الــسابقة, مــع مراعاة التغيير في ترتيب المقاطع القرآنية وغير القرآنية, فمرة تكــون القراءة القرآنية سابقةً للأخرى, ثم تكون تاليةً لها في الجلسة التالية أو العكس, دون علم أفراد التجارب.

*** نتيجة هذه التجارب**

1ً ــ ظهر بوضوحٍ أن الجلساتِ الصامتةَ, لم يكن لهــا أي تأثير مهدّئ للتوتر.

2ً ــ استطاعتْ أجهزةُ المراقبةِ أن تأتي بنتائجَ واضحة إيجابية في تجارب المقاطع القرآنية, وهذا يدلُّ على أن (الجهد الكهربــائي) للعضلات كان أكثر انخفاضًا, إشارةً إلى وجود أثر مهدِّئ للتوتر.

ثم إن هناك تقارير طبية تنصّ على أن زيادة التوتُّر تــؤدي إلى نقص المناعة, فيتعرض الجسم بسببها للمرض.

فتأثير القرآن الكريم إذًا يمكن أن يؤدي إلى تنشيط وظـــائفِ المناعة في الجسم, وعنه يَنْتُج زيادة في قابلية الجسم لمقاومة الأمـــراض المعدية والسرطانية وغيرها, اهـــ من مجلة (منار الإسلام) بتصرُّف.

لقد حققتْ هذه النتائج إجاباتٍ عظيمةً لتلك التساؤلات, غير أنها فجَّرت في عقول الكثيرين سؤالاً أخطر, يتمثل في معرفة الـــسرّ الكامن في كلمات ذلك الكتاب العظيم.

أما نحن المسلمين فنعلم أن مردّ الأمر إلى الإعجاز في كتاب الله تعالى جلّتْ قدرتُه القائل في محكم تبيانه: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ} [يونس: 57].

هذه النتائج أبطلتْ شرطًا اشترطه الكثير من العلمـــاء حـــين تكلَّموا على الاستشفاء بالقرآن, وهو الاعتقاد, وســـيأتي ذلـــك في مكانه بعون الله تعالى.

*** فائدة جليلة لابد منها في هذا المقام**

ثبت أنَّ رسول الله ‘ رخص بالرقية ـــ ما لم تكن شـــركًا أو

تحتَمِله ـــ فقد أخرج مسلم في السلام باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك برقم (2200), وأبو داود في الطب باب ما جاء في الرقى برقم (3886), من حديث عوف بن مالك قال: قال رسول الله ‘: >**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقاكم**<, وأخرج أحمد (63/6) والبخـــاري في الطب باب رقية العين برقم (5738), ومسلم في الـــسلام بـــرقم (2195) من حديث عائشة رضي الله عنها: >**أمـــر الـــنبيُّ ‘ أن يُسترقى من العين**<, وأخرج الترمذي في الطب باب الرقية من العين برقم (2059) وصححه, والنسائي في الكبرى (365/4) عن أسماء بنت عُمَيْس أنها قالت: (يا رسول الله, إن ولدَ جعفر تُسرِعُ إلـــيهمُ العينُ أفأسترقي لهم؟ قال: >نعم<), وفي رواية مسلم: (فعرضـــتُ عليه فقال: >ارقيهم<).

فهذا يدلُّ على جواز الرقية ما لم تكن شركًا, أو غير معقولة المعنى خشيَةَ احتمالها الكفر.

وقد يتبادرُ إلى الذهن سؤال مهمّ: لِمَ رخَّص رسولُ الله ‘ برُقى غير القرآن الكريم, مما كانوا يستخدمون في الجاهلية, بشرطِ خُلُوِّهـــا من الشرك أو احتماله؟ وهل لهذه الرُّقى تأثيرٌ على الجسم والـــنفس

معًا؟ أو على أحدهما؟ وإن ثبت شيءٌ من ذلك فما الذي يبقى للقرآن الكريم من خصوصيةٍ في التأثير؟؟.

في أثناء بحثي عن جواب هذه التساؤلات كان يراودني شعورٌ أن ثمة سرًّا عظيمًا ينطوي عليه هذا التشريعُ المحمدي العظيم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى, وقد تجلّى لي ذلـــك بعـــد البحث في كُتُبِ علم الطب النفسي والبدني, وقبل الإجابة عن تلك التساؤلات لا بد من تقديم نبذة عن المادة التي توصلْتُ من خلالها إلى جواب.

الطب النفسي البدني: PSYCHOSOMATIC MEDECINE

والمعالجة النفسية: PSYCHOTHERAPY

وهي فرع من الطب يبحث في العلاقات المتبادلة بين الجســـم والنفس, وفي تطبيق ما يُعرف عن الانفعالات, وغيرها من العوامـــل النفسية على مشاكل المرض.

ويستند هذا الفرع من الطب على حقيقة تقول: إن الـــدوافع البدائية يمكن أن تتظاهر بالتساوي في العقل وفي الأعضاء, وأن القلق

ANXIETY (وهو حالة توتر عالٍ مترافق بشعور مبهم بتوقُّع أذًى أو مصيبة, وهو شعور على غاية من الإزعاج) يمكن أن يصيب العضوية البشرية بشتى الطرق.

وثمة حقائقُ طبية يجب معرفتها وهي:

ـ أن تأثيرَ بدنِ الإنسان في الفِكْر والنَّفْسِ مِنَ الأمور البديهية[1] وهذا معروف لدى الكثير (فالعقل السليم في الجسم

---

(1) بديهية نسبة إلى بديهة, وهذا هو المسموع عن العرب, خلافًا للقياس, قال ابن مالك في أَلفيَّته:

وفَعَلِيٌّ في فَعِيلَةَ التُزِمْ   وفُعَلِيٌّ في فُعَيْلَةٍ حُتِمْ

فالقياسُ: أنك تنسب إلى فَعيلةَ: فَعَلِيٌّ ـ إنْ لم يكنْ معتلَّ العين ولا مضاعفًا ـ كما تقول في حنيفةَ: حَنَفِيٌّ.

أما المسموع عن العرب: بديهي إلى بديهة, وطبيعي إلى طبيعة.

ومن أراد تفصيلاً في ذلك فلْيرجعْ إلى بحث في مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق, الجزء الأول من العدد الثاني والسبعين الذي نُشِرَ في كانون الثاني 1997 ص69, بعنوان: (طبيعي وبديهي.. أم طبعي وبدهي) للدكتور عبد الرحمن عطبة الحلبي أدام الله بقاءه, وقد صدَّره في كتاب له بعنوان (من قضايا الأدب واللغة), ط: دار الأوزاعي 1998.

السليم) ومثال ذلك: الهَذَيان عند المصاب بالحمّى.

ـــ أن الحالة النفسية ـــ على العكس مما سبق ـــ كثيرًا ما تؤثّر في البدن, فالانفعال قد يسبب الإسهال وتوقُّف الهضم.

ـــ أن للارتكاسات النفسية أثرًا بيِّنًا في تبدُّل المشهد السريري للأمراض التي يصاب بها الإنسان.

فمن واجب الطبيب التنبُّه إلى التقلبات النفسية اللاإرادية, وإنَّ لفظةً ما أمام عليل قد تؤدي إلى انتكاسات بيّنة, مما ينعكس على مرضه وحالته الصحية, في حين أنَّ كثيرًا من المرضى يعالجون بما يسمى: (بالإيحاء الذاتي: AUTO SUGGESTION) ومنه شيوع طريقة المداواة الروحية المرتكزة على الإقناع, لشفاء كثير من الأمراض الوظيفية والعصبية.

ـــ أنه تبيّن أن للعوامل النفسية كبيرَ أثر في إحداث الأمراض والعلل العصبية الوظيفية ـــ وفي طليعة هذه العلل الهستيريا, والوهن العصبي والنفسي, وبعض الاضطرابات النفسية ـــ وفي القضاء عليها.

ـــ أن تأثير أي جرثومة من الجراثيم في بدن الإنسان يرتبط

بدرجة تقبُّل الشخص وتأهُّبه ونحوَها بالعوامل المختلفة العديدة, فكذلك الحال أيضًا في الحدث النفسي.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك: أن قرحَة المعدة (الاثنا عشري) تتسبب من انفعالات نفسية, وترتبط بصلة وثيقة بتطور هذه الانفعالات.

ـــ أنه قد تتنكّر المتاعب النفسية في صورة مرض بدني, وقد تتجلى هذه الأقنعة الجسمية التي يتنكر فيها التوتر العصبي على صورة خفقان القلب, أو سوء الهضم, أو الإمساك, أو الصداع, أو الشلل.

وتُعرَفُ هذه الأمراض باسم (الأعراض المُحَوَّلة) لأن أسبابها الحقيقية غير جسمية, بل انفعالية وعقلية, بَيْدَ أنّها تحوّلت إلى أمراض جسمية.

ـــ أنَّ القلق يُلْحِقُ بالوظائف الفيزيولوجية خللاً ما, يَظْهَرُ في أعراض نفسية بدنية, فقد يُحدِثُ القلقُ الحادُّ تشنُّجًا في القلب أو البواب, أو المعي, وقد يُحدِثُ زيادةً في الحموضة المعدية, أو إسهالاً, أو إمساكًا, أو خفقانًا في القلب, أو تعرُّقًا في الراحتين والوجه.

*** أثر الإيحاء في المعالجة البدنية:**

نخلص مما سبق إلى أنه يتأكد وجوبُ التعرُّف علـــى الحالـــة النفسية عند المريض, وأهمية المعالجة النفسية في الطب جنبًا إلى جنب مع المعالجة البدنية, وفي كثير من الأحيان دون الحاجـــة إلى المعالجـــة البدنية.

قال الطبيب عبد العزيز القوصي في كتاب (أســـس الـــصحة النفسي) ص65: وأثر الإيحاء في الحالات الجمسية أمر معلوم, ففكرة الصحة أو المرض يمكن أن تؤدي إلى الصحة أو المرض, وإذا توافرت العقيدة أمكن الوصول إلى الشفاء دون أخذ الدواء.

وعلى سبيل المثال أذكر حادثًا وقع لكاتب هذه السطور, فقد كان عنده صداع شديد ولم يُرِدْ أن ينقطع عن العمل, فأخذ معه في جيبه قرصًا من الإسبرين, إلا أنّه نسي أن يبتلعَه, واعتقد أنَّه أخـــذه, وشعر فعلاً بالدفء والانتشار الذي يـــصاحب أَخْـــذَ الإســـبرين, واكتشف بعد ذلك أن قرص الإسبرين لا يزال كما هو في جيبه.

كما أن الطبَّ الشعبي ــ وخاصة في مجال مداواة الثآليل ـــ

قائم على الإيحاء أساسًا. اهــ.

ـــ إن فائدة الإيحاء في الاضطرابات الوظيفية قوية جدًّا, ومن أمثلتها: معالجة إقياءات الحمل الخطرة (العنيدة) بالإيحاء.

قال الطبيب شوكت القنواتي في كتابه (المـوجز في الحمـل والولادة وعواقب الوضع المرَضية): ومما تجدر الإشارة إليه العلاقـة الوثيقة بين الجهازين الودِّي والعصبي الدماغي, مما يعلل دور الإيحـاء في شفاء بعض الإقياءات الخطرة.

ثم قال: أما المعالجة بالإيحاء فتكون بعزل المريضة عزلاً مطلقًا في دار التوليد حيث يطبّق عليها المداواة الروحية بالإيحاء, وتقـوم هـذه المداواة مثلاً: بالتظاهر بوجود انحراف في الرحم, ستعمد المولِّـدة إلى ردِّه فيزول الإقياء حالاً.. أو بإقناع الحامل أنّ لدى المولِّدة طريقـة خاصّة وناجحةٌ لا تخيب أبدًا ستطبِّقها لها, وكثيرًا ما تفيـد المـداواة الروحية هذه في شفاء الإقياء. اهــ.

وفي آخر هذا الكلام تجدرُ الإشارة إلى أن تلـك الوسـائط العلاجية الروحية من رقى, وتمائم, وعزائم, وتعليق وخَرَز, (من التي

كانت معروفة قبل الإسلام) لم تكن قديمًا مـــن عـــادات العـــرب فحسب, بل لجأ الأطباء الأقدمون إلى التعليـــق حـــتى في الأمـــراض العضوية عندما لا يجدون للعلة دواءً فعّالاً.

قال ابن سينا في كتابه (القانون): قال ديسقوريدس: إذا أُخِذَ فرخةٌ في زيادة القمر, وكان أول ما أفرخ وشقَّ, وأُخِذَ من الحـــصى الموجود في جوفه حصاتان: وإحداهما ذات لون واحد, والأخـــرى كثيرة الألوان, فإن أُخِذتا قبل أن تقعا على الأرض, ثم صُرَّتا في قطعة جلدِ عِجْلٍ أو إبِلٍ, قبل أن يصيبها تراب, ورُبِطتا على عَـــضُدِ مَـــنْ اختلط عقْلُهُ أو مَنْ به صَرَع, أو على رقبته, انتفع به.. قـــال: وقـــد جُرِّب ذلك. اهـــ.

إن هذه الوصفة نمط من المعالجة النفسية, أعطيـــتْ الترتيـــبَ والشروط المذكورة ليزداد الاعتقاد بفائدتها, فتحدث آثار الإيحـــاء بتنفيذها, في حين أن الطب اليوم لا يجد تفسيرًا للنتائج التي أعلن عنها ديسقوريدس وابن سينا إلا أن يكون ذلك الصرع نوبةً هستيرية ذات اختلاج شبه صرعي, فاستفادت من الإيحاء بواسطة التعليق.

*** النتيجة**

ومن هنا نجد أن رسول الله ' استخدم نظام الإيحاء أو ما يسمى اليوم (العلاج النفسي) حينما أقرّ بعضَ الرُّقى التي كانت معروفةً في الجاهلية, كإقراره ' لبني حزم من بني النجار في المدينة, إذ كانوا مشهورين بالمعالجة بالرقى تجاه ذوات السموم من حيات وعقارب, ولغيرهم كما هو معروف في السنة المطهرة.

فالإسلام جمع بين الماديّات والروحيّات, فأعطى لكلّ جانب حقّه, وأعدَّ لكلٍّ حالة لَبوسَها, و لم يُهْمِلْ واحدةً من الطَّرفين.

*** تنبيه**

هذا الكلام يخصُّ رقى الجاهلية التي أقرَّها النبي ' لخلوِّها من الشرك أو احتماله, وهذا ــ كما قلت ــ ضرب من الطبّ النّفسي الذي سبق ذكره, لكنْ لا يظننَّ ظانٌّ أنَّ تأثير رُقى النبي ' ــ من القرآن أو من غيره كالأوراد والأذكار المندوبة ــ بواسطة قانون الإيحاء ذاك, لا, بل إنَّ في القرآن الكريم خاصيَّة الشفاء يجعلها الله تعالى فيه عند تلاوته بِنِيَّةِ الرُّقية, كما يجعلُ للنار خاصِّيَّة الإحراق عند الملامسة, وكما يخلقُ للإسبرين خاصيّة التسكينِ عند تناوله, لكنّ

خاصيّة الشفاء بالقرآن عامّةٌ تفيدُ في جميع الأمراض.

وقد يتوقّفُ إمدادُ الشفاء إن أمسكَ الله تعالى هذه الخاصـــية, كما منع النار أن تحرق سيِّدَنا إبراهيم عليه السلام وسلب خاصـــيتَها ـــ بل كما يسلبُ خاصيةَ الكثير من العقاقير الطبية عنـــد إعطائهـــا لمريضٍ ما, ثم لا يجدُ الطبيبُ تعليلاً لذلك إلا التَّسليمَ لله تعالى جـــلّ جلالُه ـــ.

ويقاس على القرآن الأدعية والأذكار الواردة في ذلك ـــ وقد بيّنتُ ذلك مفصّلاً ص 50 ـــ لكنه لا مانع من أن يرافق هذا التأثيرَ تأثيرُ الإيحاء أيضًا ببعض الخصائص, لذلك نجد أن بعـــض العلمـــاء اشترطوا لتحقق الشفاء بالقرآن شروطًا منها الاعتقاد, غير أن هذا لا يسلَّمُ لهم دائمًا, وإن كان مما يعضدُ أثره.

*** هل الأثر الشفائي بالقرآن الكريم خاصٌّ بالمؤمنين؟**

إنه لا خصوصيّة للمؤمنين بالأثر الشفائي للقرآن الكريم دونَ غيرهم, وتدلُّ عليه عدّةُ أمور:

أولاً: أنّ المجرَّباتِ من القضايا اليقينيات ـــ كما هو مقرَّرٌ في

علم المنطق ــ وقد أَكَّدَتِ التَّجارِبُ السابقُ ذكرُها مما قرَّرناه, ولو لم يكن إلا هذا الدليل لكفى.

ثانيًا: أنَّ هذا الكلام لا يتعارضُ مع حــديث ابــن مــسعود ــ الآتي ذكره ص 123 ــ قال رسولُ الله ‘: **>لو أنَّ رجلاً موقنًا قرأ بها على جبلٍ لزال<**.

بل هذا دليل على القائلين بالتخصيص, لأنه لا تلازمَ بــين أن يكون الرجلُ موقنًا بنفع الرقيةِ ــ التي هي تلاوة القرآن هنا ـــ وأن يكونَ مسلمًا مؤمنًا بالله تعالى, فحينما رقى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه رجلاً كافرًا بفاتحة الكتاب برئ, والأحاديث الآتية ستوضِّــحُ ذلك تمامًا.

ثالثًا: أنَّ الآيةَ الكريمةَ {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: 82] لا تفيد تخصيصَ الشفاء بالمؤمنين دون غيرهم, لأنَّ الله تعالى خاطبَ الناسَ عامّةً ــ مؤمنين وغيرَهم ــ في موضعٍ آخر, قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [يونس:

.[57

فالقرآن الكريم ــ كما أفادت هذه الآية ــ جاء موعظةً لمــن أراد أن يتّعظَ من المخاطَبين, وجاءَ شفاءً لمن طلبَ الشّفاءَ به من جميع المخاطبين, وجاءَ هدًى ورحمةً للمؤمنين خاصّةً دون غيرهم, فــذكْرُ المؤمنين يناسبُ ذكرَ الرحمة في الآية.

ومما يؤكّدُ ما قرَّرناه ما جاءَ في حديث ابن عبّــاس ــ الآتي ذكره ص 86 ــ حينما قال رفقاءُ اللديغِ للصحابة الكرام رضي الله عنهم: (فهل منكم مِنْ راقٍ)؟.

فالصحابةُ الكرامُ, بل حتى رفقاءُ اللديغ علمــوا أنَّ القــرآن شفاؤه عام للمؤمنين وغيرهم ممن طلب الاستشفاءَ بالقرآن الكريم.

فمن يدَّعي بعد هذا أنّه خاصّ بالمؤمنين فعليه أن يأتيَ بــدليلٍ على ذلك.

*** هل إسماعُ القرآن الكريم للمريض شرطٌ في الشفاء؟**

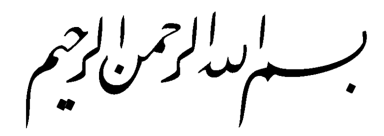
ينبغي الإشارة إلى أنَّ إسماعَ القرآن الكريم للمريض ليس شرطًا في الشفاء, بل تغني القراءة السرِّية في المطلوب, فإسماعُه وعدمُه سيّانِ في

ذلك.

فإنّك إنْ رقيتَ مريضًا دونَ أن تُسمعَه تلاوةَ القرآن لا يَنْقُصُ عن الأثر الشفائي فيما لو أسمعتَه, وهذا ما أيَّدتْهُ التّجارِبُ الــسّابقةُ بطريقٍ غير مباشرة, إذا إنَّ اختيارَ أناسٍ لا يتكلّمون العربيةَ, ثم إدخالُ تلاواتٍ عربية غير قرآنيةٍ بين التلاوات القرآنية, أثبتـــت أنَّ التـــأثير الشفائي ليس ناتجًا من جَرْسِ اللغـــة العربيـــة وتنغيمهـــا ـــ كمـــا أسلفتُ ـــ ولا عن فهم معنى القرآن ـــ من خلال ترجمته ـــ بل هو ناتجٌ عن مجرّد تلاوة كلام الله جلَّ في علاه ـــ سواء سمعه المريض أم لا ـــ.

وكثيرًا ما نسمع اليومَ من أناسٍ صُمٍّ يُرْقَونَ بكلام الله تعـــالى فيُشْفَونَ من أمراضٍ كثيرة, والأحاديث الآتيةُ ـــ من مثل رقيةِ المغمى عليه ـــ تؤيِّدُ ذلك.

* * *



اللهم لك الحمد تمَّ نورُك فهديت, ولك الحمدُ عَظُمَ حلمُـــك فغفَرت, ولك الحمد بَسَطتَ يديك فأعطيت, أنزلتَ كتابك العظيم هدًى ورحمة, وجعلتَه شفاءً ونعمة, يُذهبُ عـــن الأبـــدان الأدواء والأوصاب[1], كما يزيل عن القلوب الجهل والشرك والارتياب.

ونصلّي ونسلّم على رسولك وصفيك, وخليلـــك ونجيِّـــك, سيدنا محمد الذي عرف قدر القرآن واتخذه دواءً يعالج به نفسه وغيره مما يترل من الأمراض, وحضَّ على التعوُّذ به مما ينوب من الحـــوادث والأعراض, ونسألك الرضى عن آله الكرام, وصحابته الأعلام.

وبعد:

---

(1) **الأوصاب:** جمع وَصَب, وهو التعبُ.

فقد سمعتُ في بعض الأيام حديثًا مذاعًا بـ(الراديو) لبعض الأزهريين[1], عرض فيه لموضوع التداوي بالقرآن الكريم, فأنكره أشدَّ الإنكار, وجعله من قبيل الدَّجْل والخرافات, فعجبتُ لِجُرأة هذا الأزهري المبتدع!! وقلت: كيف يصِحُّ أن يتهجَّمَ على إنكار شيءٍ ثَبَتَ عن رسولِ الله ' قولاً وعملاً وإقرارًا!! كما ثبت عن الصحابة والتابعين, وأَجْمَعَ الأئمةُ على جوازه, بل القرآنُ نفسُه يدلُّ عليه, ويرشد إليه, لِمَن استعملَ فكرَه, وأمعنَ نظرَه, لكنَّ سوابقَ هذا المبتدع في إنكار السنّة ومحاربتها, والحضِّ على إهمالها في تفسير القرآن الذي وكَلَ الله تعالى إلى رسوله ' تبيينَه للناس, دلَّتْني على أنه مستهترٌ فيما يقول, لا يستند إلى ما تواطأ عليه العلماءُ من الأدلة إلا بقَدْر ما يوافق رأيَه وهواه, فهو يرجِعُ ـ فيما يعرض له من تفسيرِ بعض الآيات ـ إلى رأيه المجرَّد, وإذا صادفه حديثٌ صحيح عن النبي

(1) قصد المؤلف رحمه الله تعالى: الشيخَ محمود شلتوت, وقد صرَّح بذلك في كتابه (الأحاديث المختارة في الأخلاق والآداب المسمى الغرائب والوِحْدان) في الحديث الرابع والثلاثين بعد المئة ص 97. وكذا صرح بذلك في كتابه >سبيل التوفيق< ص'100.

‘ يخالفُ ما قال, ردَّه بأسلوبٍ خبيثٍ يدلُّ على الدَّهاء والمكر, ذلك بأنْ يقول: جاء في >الروايات< كذا, أو تقول >الروايات< كذا, ليُوهِمَ بذلك أنَّه ما خَالَفَ إلا رواياتٍ لا قيمةَ لها في نظر الفاحصِ المدقق, والواقعُ أنَّ ما سمَّاه >روايات< حديثٌ صحيح عن النبي ‘, أخذَ به العلماءُ والتزموه, بل قد يكون من قبيل المُسْتفيض أو المتواتر.

وقد يهمِلُ الحديثَ فلا يتعرَّضُ له إطلاقًا كأنَّه لم يَرِدْ في شيءٍ من كتب السنة أو التفسير.

ومن ذلك أنَّه تكلَّم في بعض أحاديثه بـ (الراديو) على تفسير قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ} إلى قوله تعالى: {فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ} فصار يردِّدُ في حديثه ذِكْر >العبدِ الصالح< ولم يتعرَّضْ إلى تعيينه, مع أنَّ كُتُبَ التفسير كلَّها, كبيرَها وصغيرَها, عيَّنتْ العبدَ الصالح بأنه الخَضِرُ عليه السلام, واستندتْ في هذا التعيين إلى ما رواه البخاريُّ ومسلمُ وأصحابُ السننِ وغيرُهم من طُرُقٍ عن ابن عباس عن أُبَيِّ بنِ كعب عن النبي ‘ في قوله تعالى: {فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ} قال: >هو الخَضِر<.. والقصةُ مفصَّلةٌ بطولها في

الصحيحين[1] وغيرهما عن النبيّ ‘, فإهمالُه لتعيين >العبد الـــصالح< ـــ مع ما سبق ـــ يَحْتمل أحدَ أمرين لا ثالثَ لهما:

1 ـــ فإما أن يكون لم يقفْ على شيءٍ منْ كتب التفـــسير, وكلُّها ذكرتْ اسمَ الخَضِر, والحديثَ الواردَ به حتى تفسيرُ الجلالـــين ـــ أصغر تفسير ـــ وهذا يؤيد ما قدَّمنا أنه يرجع إلى رأيه المجرَّد.

2 ـــ وإما أن يكون رأى كُتُبَ التفسيرِ, ورأى فيهـــا اســـمَ الخَضِر, والحديثَ الوردَ به, ومع ذلك أهمله, وهذا يؤيد ما قلناه أنّـــه لا يقبل الحديثَ إذا خالف هواه ولو كان في أعلى درجات الصحة.

لكنْ في مَسْلَكِهِ هذا اعتراضٌ ضمنيٌّ, كأنه يقول: حيـــث لم

---

(1) البخاري في كتاب العلم: باب ما ذُكِرَ في ذهاب موســـى, بـــرقم (74), ثمَّ كرَّره في اثني عشرَ موضعًا.

ومسلم في كتاب الفضائل: باب من فضل الخـــضر عليـــه الـــسلام, بـــرقم (2380).

والترمذي في جامعه في كتاب التفسير: باب ومن ســـورة الكهـــف, بـــرقم (3149).

والنسائي في الكبرى في كتاب التفـــسير {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَـٰهُ}, بـــرقم (327).

يُعيِّن اللهُ اسمَ العبد الصالح فلا نعيِّنُه ولو عيّنه رسولُ الله ‘!!

وإلا فبربِّك قل لي: بماذا تُعلِّلُ هذا المسلكَ منه؟

وكم له في هذا المضمار من نظير! يحارب السنة بأساليبَ شيطانيةٍ تروجُ على ضعفاءِ أهل العلم, بسطاءِ التفكير.

فتارةً يردُّها بدعوى أنَّها ظنّيّةٌ والمقامُ يتطلَّبُ اليقين.

وطورًا يتذرَّعُ إلى ردّها بالاحتمالات العشر التي كشفنا النقاب عن دَخَلِها في كتابنا (عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام)(1), وحينًا يلجأ إلى التفريق بين السُّنَّة العملية والقولية,

---

(1) (ص:85). والاحتمالات العشر هي احتمالاتٌ وجّهها بعضُهم إلى الدليل اللفظي لإبطال الاستدلال به, وهي: عدم الاشتراك, والمجاز, والإضمار, والنقل, والتخصيص, والتقديم والتأخير, والناسخ, وعدم المعارض العقلي, ونقل اللغة.

حاشية البجيرمي على المنهج (82/3), حواشي الشرواني على تحفة المحتاج (377/5), الإبهاج شرح المنهاج للسبكي (24/3).

وقد نقل شيخنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله تعالى رفضَ الأصوليين لهذه الاحتمالات في تعليقه على الرفع والتكميل ص190: (ورفضوا دعوى الاحتمالات العشر التي قيل بتوجُّهها إلى الدليل اللفظي ــ أي النقلي ــ كما قرَّره الإمام صدر الشريعة في كتابه التوضيح من أصول الفقه الحنفي قبيل =

فيأخذ بالأُولى, ويردُّ الثانية.

أمَّا إذا كان الحديث في شيءٍ من الفضائل والآداب فيــذكره مستشهدًا به, وربما يخصُّه بالتعليق والشرح ــ وإن كـــان في نهايــة الضعف أو النكارة عند المُحَدِّثين ــ فهو لا يلتزم القواعدَ العلمية في جانب الأخذ, ولا في جانب الترك, وإنّما يتبع ما يراه موافقًا لـــروح العصرِ في نظره, فحيث إنَّ التداويَ بالقرآن وما في معناه, لا يُعْتَبَرُ[1] من طرق الطبِّ في هذا الوقت لتقدُّم العلوم, وتنوُّرِ الأفكار, وغَلبــةِ المادة, فلْيكن دَجْلاً وخرافات...

وإنْ أرشد إليه القرآن الكريم!!

وإن فعله النبي ' وأقرَّه!!

وإن أجمع عليه العلماء!!

هذا هو المنهاج الذي يمشي عليه في فتاويه وبحوثه, وهو منهاج

التقسيم الرابع في كيفية دلالة اللفظ على المعنى). اهـــ.

(1) أي: لا يُعَدُّ, وقد ذهب بعض أهل اللغة إلى تخطئة استخدامها بهـــذا المعـــنى, وذهب آخرون إلى أنها موَلَّدة, واستخدامها بهذا المعنى صحيح.

أعوجُ, يفضي بسالكه حتمًا إلى مخالفة النصوص, ومصادمةِ الإجماع, كما في هذه المسألة التي كتبنا فيها هذا الجزء, وسمَّيناه (**كمال الإيمان في التداوي بالقرآن**) وقصدنا التَّقرُّبَ به إلى الله تعالى, في بيان الحقِّ الحقيق بالاتباع, في موضوع يتعلَّق بكتاب الله تعالى وبسنَّة رسول الله ﷺ.

والله المسؤول أن يثيبَنا عليه, ويُلْهِمَنا رشدَنا, ويؤيِّدَنا بتوفيقٍ من عنده إنَّه جواد كريم.

وكتبه

أبو الفضل

عبد الله محمد الصديق الغماري

خادم الحديث الشريف

الأحاديث الدالة على التداوي بالقرآن

قال ابنُ ماجه في كتاب الطب من سننه: بـــاب الاستـــشفاء بالقرآن: حدثنا محمد بن عبيد بنِ عتبةَ بنِ عبد'الرحمن الكِنْديُّ حدثنا عليُّ بنُ ثابتٍ حدثنا سَعَّادُ بنُ سليمان عن أبي إسحاقَ عن الحـــارث عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رســـول الله ‘: **>خـــير الـــدواء القرآن<**.

قلت: إسناده حسن[1].

....

(1) أخرجه ابن ماجه في موضعين: الأول برقم (3501) وفي سنده سعّاد بـــن سليمان الجعفيّ... والثاني برقم (3533) وفي سنده معاذ ابن سليمان, وهو تحريف, والصواب سعّاد, وقد ضبطه الذهبي في المـــشتبه ص359: بـــالفتح والتثقيل, وكذا ابن حجر في التقريب, وقال في (تهذيب التهذيب) في ترجمته: روى له ابن ماجه حديثًا واحدًا.. وذَكَره. =

= وقد حكم المؤلف على إسناد الحديث بالحُسن لشواهده الكثيرة, لأن هذا الحديث بهذه الطريق حكم العلماء عليه بالضعف لعلتين:

الأولى: وجود الحارث الأعور في سنده, وقد جَرَّحَه الكثير.

والثانية: أن أبا إسحاق السبيعي مدلِّس ولم يصرِّح بالسماع من الحارث, وقد عدَّه ابن حجر ـــ في رسالة طبقات المدلِّسين ـــ من الطبقة الثالثة, التي قال فيها ص 7:

(الثالثة: مَنْ أكثَرَ التدليسَ فلم يَحْتَجّ الأئمةُ من أحاديثهم إلاّ بما صرّحوا فيه بالسماع).

لكن الحارث ليس كما قالوا, وإليك بيان ذلك:

قال ابن حجر في التهذيب في ترجمته: قال مسلم في مقدمة صحيحه: حدثنا قتيبة قال: حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي, حدثني الحارث الأعور وكان كذابًا.

وقال منصور ومغيرة عن إبراهيم: إن الحارثَ متّهم, وقال أبو زرعة: لا يحتج بحديثه, وقال أبو حاتم: ليس بالقوي, وقال النسائي: ليس بالقوي, وقال في موضع آخر: ليس به بأس, وقال الدوري عن ابن معين: الحارث قد سمع من ابن مسعود وليس به بأس, وقال عثمان الدارمي عن ابن معين: ثقة, وقال الدارقطني: الحارث ضعيف, وقال ابن أبي خيثمة: قيل ليحيى: يُحتجُّ بحديث الحارث؟ فقال ما زال المحدّثون يقبلون حديثَه, وقال ابن سعد: كان له قولُ سوء وهو ضعيف في رأيه, وقال ابن شاهين في الثقات: قال أحمد بن صالح المصري: الحارث الأعور ثقة, ما أحفظَهُ وما أحسن ما روى عن علي! وأثنى عليه, قيل له: فقد =

....

= قال الشعبي: كان يكذب, قال: لم يكن يكذب في الحديث, إنما كان كَذِبُـــه في رأيه, وقرأت بخطِّ الذهبي في الميزان: والنسائي مع تعنُّته في الرجال قد احتجّ به, والجمهور على توهينه, مع روايتهم لحديثه في الأبواب, وهـــذا الـــشعبي يكذِّبه ثم يروي عنه, والظاهر أنّه يكذِّب حكاياته لا في الحديث. اهـــ. مـــن كلام ابن حجر.

مما سبق نجد أن هناك من جرّح الحارث الأعور, وهناك من وثّقـــه, والـــذين جرَّحوه قسمان: قسم اعتمد تكذيب الشعبي له, وقـــسم لم يفـــسِّرْ تجريحَـــه للحارث, ومما هو معروف عند جمهور المحدثين والنّقاد أن الجرح لا يُقبَـــل إلا مفسَّرًا إلاّ إذا لم يوثَّق الراوي مطلقًا, فبذلك يُردُّ تجريحُ الذين لم يبيِّنوا السبب.

أما من اعتمد تكذيب الشعبي له في جرح الحارث: فكثير مـــن العلمـــاء ردَّ تكذيب الشعبي له لعدة أمور:

الأول: أنه لا يخرج تكذيب الشعبي له عن أن يكون كلام الأقـــران في بعـــضهم بعضًا, وذلك معروف مشهور بين أهل العلم, وقد عقد ابنُ عبد البرّ في كتابـــه (جامع بيان العلم وفضله) بابًا خاصًّا سماه: باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض, وساق أمثلةً كثيرة لذلك منها:

قال الأعمش: ذكرتُ إبراهيمَ النخعي عند الشعبي فقال: ذاك الأعـــور الـــذي يستفتي بالليل ويجلس يفتي الناس في النهار, قال: فذكرتُ ذلـــك لإبـــراهيم فقال: ذلك الكذّاب لم يسمعْ من مسروق شيئًا.

قال أبو عمر: معاذ الله أن يكون الشعبي كذّابًا, بل هو إمام جليل, والنَّخعـــيُّ مثلُه جلالةً وعلمًا ودينًا, وأظنُّ الشعبي عُوقبَ بقوله في الحـــارث الهَمْـــداني: (حدثني الحارث وكان أحد الكذابين) و لم يَبِنْ =

....

= من الحارث كذب, وإنما نقم عليه إفراطه في حبّ عليّ, ومن ههنـــا ـــ والله

أعلم ـــ كذّبه الشعبي, لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر رضي الله عنه وإلى أنه أول من أسلم, وتفضيل عمر رضي الله عنـــه. اهـــــ (1100/2) جامع بيان العلم.

فلذلك لم يلتفتْ أهلُ الجرح إلى من تُكُلِّم فيه بسبب المعاصرة, كما يُعلَم ذلك في كتب الرجال, ولو عملوا بمقتضاه لما بقي في يدهم راوٍ واحد يُحتَجُّ به, بل قال الذهبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ في مقدمة رسالته (في الرواة الثقات المـــتكلّم فيهم بما لا يُوجِبُ ردّهم): وما زال يمرُّ بيَ الرجلُ الثّبْتُ وفيه مقال من لا يُعبأُ به, ولو فتحنا هذا الباب على نفوسنا لدخل فيه عدّة من الـــصحابة والتّـــابعين والأئمة. ثم قال بعدَ كلامٍ: وهكذا كثير من كلام الأقران بعضِهم في بعـــض ينبغي أن يُطوى ولا يُروى, ويُطَّرَحَ ولا يجعلَ طعنًا. اهـــ.

الثاني: قال الذّهبي في مقدمة رسالته (في الثقات المتكلّم فيهم..): وأما التابعون فيكاد يعدم فيهم من يكذب عمدًا, ولكن لهم غلط وأوهام, فمن ندر غلطُـــه في جنب ما قد حمل احتمل, ومن تعدّد غلطُه وكان من أوعيةِ العِلْم اغتُفر له أيضًا, ونُقِلَ حديثُه, وعُمِلَ به على تردُّدٍ بين الأئمة الأثبـــات في الاحتجـــاج عمن هذا نعتُه, كالحارث الأعور, وعاصم بن ضَمْرَة, وصالح مولى التوأمة... ونحوهم, ومن فَحُشَ خطؤه وكَثُرَ تفرُّدُه, لم يحتجّ بحديثه ولا يكاد يقع ذلـــك في التابعين الأوّلين.. اهـــ.

الثالث: أن أول من اعتمد عليه في الرواية عنه والأخذ منه سيِّدا شبـــاب أهل الجنّة ـــ الحسن والحسين رضي الله عنهما ـــ فقد روى=

....

= ابن سعد في طبقاته (168/6) عن الشعبي قال: لقد رأيتُ الحسنَ والحـــسين يسألان الحارثَ الأعور عن حديث عليٍّ, ورواه أيضًا ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل.

فهذا الشعبيُّ نفسُه يُخبرُ أنّه رأى الحسنَ والحسين يسألان الحارث عن حديث عليّ.

فرواية الحسن والحسين تردُّ طعن الشّعبي فيه بالكذب, وتظهر أنه أراد — إن سُلِّمَ له ذلك — الكذبَ في الرأي.

ثم إنّ سيدنا علي شهد بفضله وشهد له أنه من أهل العلم الذين يؤخذ عنهم, وأنه غلب أهل الكوفة في العلم, فلو كان متّهمًا في ذلك لبيّن سيدنا علي رضي الله عنه أمرَه, وحذّرهم منه, فقد روى ابن سعد في طبقاته (168/6): (إن عليًّا خطب الناس بعدُ, فقال: يا أهلَ الكوفة غلبكم نصفُ رجل). اهـ.

وقال ابن سيرين: أدركتُ الكوفة وهم يقدّمون خمسة: من بدأ بالحارث ثنّى بعَبِيدَة, ومن بدأ بعَبِيدَةَ ثنّى بالحارث, انظر (تهذيب الكمال) في ترجمته و(المعرفة والتاريخ) ليعقوب بن سفيان (557/2).

فمنه نجد أنّ الحارث بن عبد الله الهمْداني الأعور بريءٌ من تهمة الشعبي له بالكذب, وحديثه مقبول عند الأئمة, والله تعالى أعلم. ولْيُنْظَرْ تفصيلُ ذلك في رسالتين للشيخ عبد العزيز الغماري: (الباحث عن علل الطعن في الحارث) و(بيان نُكْث الناكث المتعدّي بتضعيف الحارث).

وللسِّجْزي في الإبانة والقُضاعي في مسند الشهاب من طريق أبي إسحاق عن الحارث عن عليٍّ عن النبي ‘ قال: >**القرآن هو الدواء**< وإسناده حسن كما قال المناوي في التيسير[1].

وروى ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ‘: >**عليكم بالشفائين: العسل والقرآن**<. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين, وسلّمه الذّهبي[1][2].

---

(1) وقال المناوي في فيض القدير: قال العامري في شرح الشهاب: حسنٌ صحيح. اهـ. وفيه الحسن بن رَشِيق أورده الذهبي في الضعفاء وقال: ثقةٌ تكلَّم فيه عبد الغني, وسعّاد أورده الذهبي في ذيل الضعفاء. اهـ من كلام المناوي.
قال الشيخ أحمد الغماري في المداوي لعلل المناوي (641/4): قدّمنا مرارًا أن العامري جاهل ساقط عن درجة الاعتبار, يصحّحُ الأحاديث ويحسّنُها بهواه وذوقِهِ ولو كانت موضوعة, ولا ينظر إلى الإسناد أصلاً, والحسنُ بنُ رَشِيق العسكري ثقة, حافظ, وكون عبد الغني تكلّم فيه, إنما ذلك لأجل المعاصرة, بل لأنه امتنع عن إعارته كتبَه. اهـ من كلام الغماري.
والحديث أخرجه ابن ماجه من الطريق التي خرّجها منه القضاعي لكنْ بلفظ: >خير الدواء القرآن< انظرْ مسند الشهاب (51/1 برقم 28).
وما قيلَ في سند حديث ابن ماجه السابق يقال في هذا لأنه بالطريق نفسها.

(2) ابن ماجه, كتاب الطب: باب العسل, برقم (3452), قال في الزوائد: =

وروى الحاكم[1] أيضًا عن ابن مسعود قال: >**عليكم بالشفائين القرآن والعسل**< وإسناده صحيح أيضًا.

وروى الثّعلبي[3] من طريق أحمد بن الحارث الغساني

....

[1] وقال الحافظ ابن كثير بعد أن عزا الحديث لابن ماجه: إسناده جيد.

إسناده صحيح ورجاله ثقات.

والحاكم في المستدرك (200/4) وصححه.

وأورده ابن كثير في التفسير (577/2), [سورة النحل: 64], وقال: وهذا إسناد جيد, تفرّد بإخراجه ابن ماجه مرفوعًا.

(1) المستدرك (200/4).

(2) **الثعلبي**: هو أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسّر, كان حافظًا متينَ الديانة, توفّي سنة 427هـ, رحمه الله تعالى.

وكتابه في التفسير سمّاه (الكشف والبيان عن تفسير القرآن),

= ورأيت أن أذكرَ ما هو ضروريٌّ ذكرُه عن هذا التفسير؛ قال الشيخ محمد حسين الذّهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) (231/1): (... ثم إنّ الثعلبي لم يتحرَّ الصحة في كلِّ ما ينقل من تفاسير السلف, بل نجدُه ــ كما قال السيوطي في الإتقان ــ يكثر من الرواية عن السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.. كذلك نجده وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين بالاغترار بالأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة سورة... وهذا مما

=

حدثتنا ساكِنَةُ بنت الجَعْدِ قالت: سمعت رجاء الغَنَوي يقول: قال رسول الله ': **>من لم يستشفِ بالقرآنِ فلا شفاه الله<** إسناده ضعيف[1].

يدلّ على أنه لم يكن له باعٌ في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها... وإنه قد جرَّ على نفسه وعلى تفسيره بسبب هذه الكثرة من الإسرائيليات, وعدم الدّقة في اختيار الأحاديث, اللومَ المرير, والنقدَ اللاذع من بعض العلماء الذين لاحظوا هذا العيب في تفسيره, فقال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير: والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين, وكان حاطب ليل, وكان ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع... اهـ.

وقال الكتاني في الرسالة المستطرفة ص 79 عند كلامه عن الواحدي المفسّر: ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي بضاعة في الحديث بل في تفسيرهما ــ وخصوصًا الثعلبي ــ أحاديث موضوعة, وقصص باطلة. اهـ.

(1) بل الحديث شديد الضّعف؛ عزاه صاحب كنز العمال (8/10 برقم 28106) إلى الدارقطني في الأفراد, وذكره في (الجامع الصغير) في حديث طويل أوّلُه: >استشفوا بما حَمِد الله به نفسَه قبل أن يَحْمَدَه خلقُه... فمن لم يشفه فلا شفاه الله< ثم عزاه إلى ابن قانع عن رجاء الغنوي. قال المناوي في الفيض (491/1 برقم 977): أشار الذهبي في (تاريخ الصحابة) إلى عدم صحة هذا الخبر فقال في ترجمة رجاء: له صحبة, نزل البصرة, وله حديث لا يصح في فضل القرآن.

قال الشيخ أحمد الغماري في المداوي: الذهبي مسبوق بذلك وقائله أبو عمر =

ما ورد في التداوي بفاتحة الكتاب

أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (انطلق نفرٌ من أصحاب النبي ' في سَفْرَةٍ سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب فاستضافوهم, فأَبَوْا أن يضيفوهم, فلُدغَ سيّد ذلك الحيّ, فسَعَوا له بكلِّ شيءٍ, لا ينفعه شيء, فقال بعضهم:

ابن عبد البر في الاستيعاب (75/2 ــ 772), وإنما قال أبو عمر: حديثه لا يصح, لأنه من رواية أحمد بن الحارث الغساني عن ساكنة عنه, وأحمد بن الحارث, قال أبو حاتم: متروك, وقال البخاري: فيه نظر, وقال العُقَيلي: له مناكير لا يتابع عليها, وحديث الباب رواه أبو نعيم ومن طريقه الديلمي في مسند الفردوس. اهـ من كلام الغماري.

قلتُ: ورواه الخلال في فضائل {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} (198/2) أيضًا من طريق أحمد بن الحارث, ورواه الواحدي في تفسيره (2885/2) من طريقه أيضًا.

وأما لفظ: >من استشفى بغير القرآن فلا شفاه الله تعالى< فقد أورده الصَّغَاني في (الأحاديث الموضوعة ص 12) وأقرّه العجلوني في (كشف الخفا 304/2 برقم 2403).

لو أتيتم هؤلاء الرَّهْطَ الذين نزلوا لعلّه أن يكون عند بعضهم شيء, فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط, إن سيدنا لُدغَ وسعينا له بكلِّ شيء, لا ينفعه, فهل عند أحدٍ منكم من شيء؟ فقال بعضُهم: نعــم, والله إني لأرقي, ولكنْ والله لقد استضفناكم فلم تُضَيِّفونا, فما أنا بِــرَاقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلاً, فصالحوهم على قطيعٍ من الغنم, فــانطلق يتفلُ عليه ويقرأ {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} فكأنما نُــشِطَ مــن عِقَال, فانطلق يمشي وما به قَلَبة, قال: فَــأوْفَوْهُمْ جُعْلَهــم الــذي صالحوهم عليه, فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلــوا حتى نأتي النبيَّ ‘ فنذكر له الذي كان, فننظرَ ما يأمرنا؟ فقدِموا على رسول الله ‘ فذكروا له, فقال: **>وما يُدْريكَ أنها رُقْية؟<** ثم قــال: **>قد أَصَبْتُم, اقسموا واضربوا لي معكم سهمًا<** فضحك النبي ‘).

هذا لفظ رواية البخاري في كتاب الإجارة, ورواه في كتاب فضائل القرآن بقريبٍ مما هنا, وأما مسلم فرواه في كتــاب الطــب, ورواه البخاري في كتاب الطب أيضًا تحت ترجمة بــاب الرّقــى بفاتحــة الكتاب, ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن أبي حــاتم في العلل, من طرق وبألفاظٍ وصحّحه الترمذي, وجــاء في روايتــه

ورواية ابن أبي حاتم أن الراقي هو أبو سعيد نفسه[1].

حديث آخر

قال البخاري: (باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب) ثم روى فيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن نفرًا من أصحاب النبي ' مرُّوا

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (10/3).

والبخاري في كتاب الطب: باب الرقى بفاتحة الكتاب, وباب النفث في الرقية برقم (5749). وكتاب الإجارة: باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب برقم (2276), وفي فضائل القرآن: باب فضل فاتحة الكتاب برقم (5007).

= ومسلم في كتاب السلام: باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار, برقم (2201).

والترمذي في كتاب الطب: باب ما جاء بأخذ الأجر على التعويذ, برقم (2063).

وأبو داود في كتاب البيوع: باب كسب الأطباء, برقم (3418).

والنسائي في الكبرى (364/4), وابن ماجه في كتاب التجارات: باب أجر الراقي, برقم (2156). والدارقطني (63/3) برقم (243), وابن السني في (عمل اليوم والليلة) باب ما يقرأ على الملدوغ, برقم (636). وابن أبي حاتم في العلل (348/2).

بماءٍ فيهم لديغٌ أو سليم[1] فَعَرَضَ لهم رجل من أهل الماء فقال: هــل فيكم من راقٍ؟ إن في الماء رجلاً لديغًا أو سليمًا, فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ فبرِئ, فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذتَ على كتاب الله أجرًا!!؟ حتى قــدموا المدينــة فقالوا: يا رسول الله, أخذَ على كتاب الله أجرًا!! فقال رسول الله ‘: **<إنَّ أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله>**) ورواه البــزار مــن حديث جابر بن عبد الله وزاد في روايته: (فقالوا لهم: قد بَلَغَنَــا أن صاحبَــكم جاء بالنور والشفاء, قالوا: نعم, قالوا: فهل فيكم مــن راق؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أرقيه... إلخ) وهذا الرجــل مــن الأنصار هو أبو سعيد الخدري كما سبق في رواية الترمذي وابن أبي حاتم[2].

حديث آخر

---

(1) **السليم**: هو اللديغ, وسُمِّيَ بذلك تفاؤلاً بالسلامة.

(2) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (95/4): رواه البزار, وفيه عمر ابن إسماعيل بن مجالد؛ وهو متروك. اهــ. وانظر كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للهيثمي, باب أجرة الراقي (93/2).

أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والدارقطني في السنن عن خارجةَ بن الصلت[1] عن عمَّه (أنه أتى النبي ‘ ثم أقبل راجعًا من عنده فمرَّ على قومٍ عندهم رجلٌ مجنون موثق بالحديد, فقال أهله: إنّا قد حُدِّثْنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير, فهل عندك شيء يداويـــه؟ قال: فرقيتُه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام, كلَّ يوم مرَّتين, فبرئ, فَأَعْطَوْني مئتي شاةٍ, فأتيتُ النبيّ ‘ فأخبرته, فقال: >**خذها, فَلَعَمْري من أكل برقية باطل, لقد أكلتَ برقية حقٍّ**[1]<) إسناده صحيح, وصححه ابن حبان والحاكم أيضًا[1], واسم عمِّ خارجة عِلاقَة بنُ صُحَار ـــ بضم الصاد

....

[1] قَسَّمَ النبيُّ ‘ في هذا الحديث الرقية إلى قسمين: رقية حق, ورقية باطل. فرقية الحق ما كانت بالقرآن أو بما ورد عن النبي ‘ من قوله أو فعلـــه أو تقريـــره, ورقية الباطل ما لم تكن كذلك, قال الشوكاني: وعلى رقية الباطـــل تُحمـــل

---

(1) خـــارجة بن الصلت البُرْجُمِـــيّ: الكوفـــي, مقبول. تقريب التهذيب برقم (1610).

= وعمُّه الذي يروي خارجة عنه هو (عِلاقة بن صُحار) هكذا ضبطه ابن حجر في التقريب برقم (5266), وقال: قيل: هو عمُّ خارجة ابن الصلت, صحابي له حديث في الرقية.

الأحاديث الواردة في النهي عن الرقى, وعلى رقية الحقّ تحمـــل الأحاديـــث الواردة بالإذن بها. اهـــ.

وتخفيف الحاء ــ التميمي, وقيل في اسمه غير ذلك, وهـــو صـــحابي رضي الله عنه.

حديث آخر

أخرج الطبراني في الأوسط عن السائب بن يزيد قال: (عوَّذَني رسول الله ؐ بفاتحة الكتاب تفلاً)[2].

---

(1) قلتُ: هذا الحديث غير موجود في الترمذي من حديث عِلاقة بن صُحـــــار كما عزاه المؤلف, بل الذي هناك هو حديث أبي سعيد

= الخدري وهو حديث آخر سبق تخريجه, وهذا الحديث أخرجه أحمد في المسند (210/5 ــ 211), وأبو داود في كتاب البيوع: باب في كسب الأطبـــاء برقم (3420), وفي كتاب الطب: باب كيـــف الرقـــى بـــرقم (3896), والنسائي في الكبرى (365/4) و(255/6), والدارقطني (296/4), وابن السني في (عمل اليوم والليلة) برقم (630), والطيالسي في مسنده (346/1) برقم (1769) وعنده (كثير بن الصلت) بدل (خارجة بن الـــصلت) وهـــو تحريف. وأخرجه أيضًا ابن حبان (474/13 ــ 475) الإحسان, والحاكم في مستدركه (560/1) وصححه, والبيهقي في الشعب (449/2).

(2) الحديث إسناده ضعيف.

=

حديث آخر

روى الثعلبي من طريق معاوية بن صالح عن أبي سليمان قال: (مرَّ أصحاب رسول الله ' في بعض غزوهم على رجل قد صُرِعَ, فقرأ بعضهم في أذنه بأمِّ القرآن, فبرئ, فقال رسول الله ':>**هي أمُّ القـــرآن وهي شفاء من كلِّ داء**<)[1].

أخرجه الطبراني في الكبير بـــرقم (6692) وفي الأوســـط (31/7 بـــرقم 6761) وقال: لم يروِ هذا الحديث عن داود بن قيس إلا عبد الله بن يزيـــد البكري, تفرَّد به هشام. اهـــ.

= قال ابن حجر في اللسان (198/4) برقم (4914): ضعفه أبو حاتم فقـــال: ذاهب الحديث. اهـــ.

انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (201/5) سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث, ذاهب الحديث.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (113/5): وفيه عبد الله بن يزيد البكري وهو ضعيف.

وقال السيوطي في الدرِّ المنثور (14/1): أخرجه الطبراني والدارقطني في الأفراد وابن عساكر بسند ضعيف عن السائب. اهـــ.

(1) الحديث يحتج به بشواهده. انظر الدر المنثور (15/1).
وفي سنده إرسال, وسيأتي ذكرُ شواهدَ لهذا الحديث.

حديث آخر

روى سعيد بن منصور والبيهقي عن أبي سعيد أن رسول الله ‘ قال: **>فاتحة الكتاب شفاء من السم<**[1].

وروى أبو الشيخ في الثواب من طريقٍ آخرَ عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ‘ مثله.

حديث آخر

روى الدارِمي والبيهقي بسند رجاله ثقات عن عبد‘الملك بن عمير قال: قال رسول الله ‘: **>فاتحة الكتاب شفاء من كل داء<**[2].

---

(1) إسناده ضعيف جدًّا.

أخرجه البيهقي في الشعب (450/2 برقم 2368) من طريق سعيد بن منصور, إلا أن فيه سلام بن سَلَم وهو الطويل, وهو متروك. تقريب التهذيب برقم (2702).

(2) الحديث إسناده ضعيف, لكنه يرتقي بشواهده إلى الحسن.

وهو شاهد لحديث أبي سليمان السابق: >هي أم القرآن وهي شفاء من كل =

وسيأتي حديث آخر في التداوي بالفاتحة مع ســـور وآيـــات, بحول الله تعالى.

*   *   *

داء>.

أخرجه الدارمي مرسلاً في كتاب فضائل القرآن: باب فضل فاتحة الكتـــاب, برقم (3247), والبيهقي في الشعب (450/2) برقم (2370), وقال: هذا منقطع, وهو شاهد لما تقدّم. اهـــ.

قلت: والانقطاع ــ الإرسال ــ حدث من طريق البيهقي والدارمي أيضًا, في نفس الموضع, وهو أن عبد الملك بن عمير وُلِدَ لثلاث سنين بَقِينَ من خلافـــة عثمان رضي الله عنه, ومات سنة 136هـــ, وقال ابن حجر في التقريب برقم (4200): ثقة فصيح عالم, تغيّر حفظه, وربما دلّس. =

التداوي بالإخلاص والمعوذتين

أخرج أصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالـــت: (كان النبي ' إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ}, و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ}, و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ}, ثم يمسح بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده, يفعل ذلك ثلاث مرات).

ورواه البخاري ولفظه عن عائشة قالت: (كان رســـول الله ' إذا أوى إلى فراشه نفـــث في كفيـــه بـــــ {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ} والمعوذتين جميعًا, ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جـــسده, قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به)[1].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الطب: باب النفث في الرقية, بـــرقم (5748), ومسلم في كتاب السلام: باب رقية المـــريض بـــالمعوذات والنفـــث, بـــرقم (2192). وأبو داود في كتاب الطـــب: باب كيـــف

= الرُّقى, برقم (3902). والترمذي في كتاب الدعوات: باب ما جاء فـــيمن =

قال يونس: كنت أرى ابن شهاب ـــ يعني الزهري ـــ يصنع ذلك إذا أوى إلى فراشه.

حديث آخر

أخرج الإمام مالك والبخاري ومسلم عن عائشة (أن الـــنبي ' كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوّذات وينفث, فلما اشتدَّ وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده, رجاء بركتها).

وفي رواية لمسلم: (كان رسول الله ' إذا مرض أحد من أهلـــه نفث عليه بالمعوذات, فلما مرض مرضَه الذي مات فيـــه, جعلـــتُ أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه, لأنها كانت أعظَمَ بركةً من يدي)[1].

والمراد بالمعوذات, {قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـــدٌ} و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ

يقرأ القرآن, برقم (3399).

(1) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع: باب التعوّذ والرقية في المرض بـــرقم (1755), والبخاري في كتاب فضائل القرآن: باب فضل المعوذات بـــرقم (5016), ومسلم في كتاب السلام: باب رقية المريض بالمعوذات والنفـــث برقم (2185).

ٱلۡفَلَقِ} و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ}, نصَّ عليه الحافظُ ابن حجر[1] وغيره.

حديث آخر

أخرج الطبراني عن أبي عَبِيدةَ ــ واسمه عامر, وقيل: اسمه كنيتُه ــ (أن أباه عبدَ الله بن مسعود رضي الله عنه رأى في عنق امرأة من أهله سَيْرًا[2] فيه تمائم فمدَّ يدَه مدًّا شديدًا حتى قطع السير, وقال: لــو أن إحداكنّ تدعو بماء فتنضحه في رأسها ووجهها ثم تقول: بــسم الله الرحمن الرحيم, ثم تقرأ: {قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ} و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ} و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ}, نفعها ذلــك إن شـــاء الله

---

(1) قال ابن حجر في فتح الباري (62/9): قوله: (باب فــضل المعــوذات) أي الإخلاص والفلق والناس, وقد كنتُ جوَّزتُ في (باب الوفاة النبويــة) مــن كتاب المغازي أن الجمع فيه بناء على أن أقلّ الجمع اثنان, ثم ظهر من حديث هذا الباب أنه على الظاهر, وأن المراد بأنه كان يقرأ بــالمعوذات أي الــسور الثلاث, وذكر سورة الإخلاص معهما تغليبًا لما اشتملتْ عليه من صفة الرب وإن لم يُصَرَّحْ فيها بلفظ التّعوذ. اهــ.

(2) **السَّيْر**: الحبل من الجلد.

تعالى)[1].

حديث آخر

أخرج ابن أبي شيبة في مسنده عن عبد الله بن مسعود قـــال: (بينا رسول الله ' يصلي إذ سجد فلدغَتْه عقرب في أُصْبُعِه, فانصرف رسولُ الله ' وقال: >لعن الله العقرب, ما تدع نبيًّا ولا غيرَه< ثم دعا بماء وملح, فجعل يضع موضعَ اللدغة في الماء والملح ويقرأ: {قُلْ هُوَ

(1) الحديث بهذا الإسناد ضعيف, لأن فيه انقطاع, لكنه يرتقـــي بـــشواهده إلى الحسن.. أخرجه الطبراني في الكبير (174/9) برقم (8863), وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (111/5): وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.
وهناك حادثة أخرى لابن مسعود مع إحدى نسائه قطعَ تميمةً لها, ثم قال لها: لو فعلتِ كما فعل رسولُ الله ' كان خيرًا لك وأجدرَ أن تُشْفَي: أنْ تنضحي في عينك الماءَ وتقولي: >أذهب الباسَ ربّ الناس, واشفِ أنـــت الـــشافي لا شفاءَ إلا شفاؤك, شفاءً لا يغادر سَقَمًا<.. أخرجها أيضًا أحمد (381/1), وأبو داود في كتاب الطب: باب في تعليق التمائم, بـــرقم (3883), وابـــن ماجه في كتاب الطب: باب تعليق التمائم, بـــرقم (3530), والحـــاكم في مستدركه (417/4 ــ 418), وصححه.

ٱللَّهُ أَحَـــدٌ} والمعوذتين, حتى سكنت) [1].

*   *   *

(1) إسناده ضعيف لأن المنهال بن عمرو لم يسمع من ابن الحنفية, لكن بشواهده يرتقي إلى الحسن. انظر: مصنف ابن أبي شيبة (44/5), وقال الـــدارقطني في العلل (303/5): ورواه مطرف وحمزة الزيات عن المنهال بن عمرو عن ابن الحنفية مرسلاً.

التداوي بـ {قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ} والمعوذتين

أخرج الطبراني في المعجم الصغير عن عليٍّ رضي الله عنه قال: (لدغتْ النبيَّ ' عقربٌ وهو يصلي, فلما فرغ قال: >**لعن الله العقربَ لا تدعُ مصلِّـيًا ولا غيره**< ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ: {قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ} و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ} و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ}).

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن[1].

* * *

---

(1) أخرجه الطبراني في الصغير (87/2) برقم (830, وفي الأوسط (91/6) برقم (5890), وانظر مجمع الزوائد (111/5).

التدواي بالإخلاص

أخرج أبو يعلى في الكبير عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: (مرضتُ وكان رسول الله ‘ يعوِّذُني, فعوَّذني يومًا فقال: <**بسم الله الرحمن الرحيم, أُعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد, من شر ما تجد**< فلما استقلّ رسول الله ‘ قائمًا قال: <**يا عثمان, تعوّذ بها, فما تعوّذتم بمثلها**<)[1].

---

(1) إسناده ضعيف جدًّا, تفرّد به (حفص بن سليمان الأسدي المقرئ) وهو متروك.

أخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير عن شيخه موسى بن حيان كما في مجمع الزوائد (110/5) وقال: لم أعرفه, وبقيّة رجاله رجال الصحيح. اهـ وفي كلامه نظر من وجهين:

الأول: أنّ موسى هذا هو موسى بن محمد بن حيان البصري أبو عمران, ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (161/8) وقال: ترك أبو زرعة حديثه ولم يقرأ علينا. اهـ.

وترجم له أيضًا الخطيب في تاريخه (41/13 ـ 42) وقال:

= روى أحاديثَ مستقيمة. اهـ. كما ترجم له الذهبي في الميزان (221/4) وقال: ضعفه أبو زرعة ولم يُتْرَك. اهـ.

=

التعوّذ بالإخلاص والمعوذتين

وهو من جنس التداوي

أخرج البزار في مسنده عن عبد الله الأسلمي قال: (كنا مع رسول الله ' في عُمْرَة, حتى إذا كنا ببطن واقم[1] استقبلتْنا ضبابةٌ

الثاني: أن قوله: (وبقيةُ رجالِه رجال الصحيح) ذهولٌ منه رحمه الله تعالى, لأن جميع طرق الحديث فيها حفص بن سليمان, والهيثمي نفسُه قال عن حفص بن سليمان في مجمع الزوائد (195/4): متروك. وقال في موضع آخر (20/5): متروك, ونُقِلَ عن وكيع أنه قال فيه : ثقة, ولكنه ضعيف جدًّا.

وأخرجه الخطيب في تاريخه في ترجمة (نصر بن منصور بن عبد'الله الثقفي) (286/13) وفي سنده حفص بن سليمان المقرئ.

ورواه ابن السني عن أبي يعلى في عمل اليوم والليلة (260) برقم (553).

قال في الفتوحات الربانية (72/4): في سنده ضعف. اهـ.

ورواه ابن عدي في الكامل (789/2 ـ 790) في ترجمة حفص ابن سليمان وقال: هذا الحديث عن علقمة بن مرثد لا يرويه عنه غير حفص بن سليمان.

(1) **واقم**: بالقاف, الموقوم: المحزون, وقد وقمه الأمر إذا ردّه عن إرَبه وحاجته, وواقم: أُطُم من آطام المدينة المنورة, كأنه سمي بذلك لحصانته, ومعناه أنه يردُّ عن أهله, وحرّةُ واقم: إلى جانبه, شرق المدينة. وبها كانت وقعة الحرّة. انتهى من معجم البلدان لياقوت الحَمَوي (408/5).

فأضلتْنا الطريق فلم نشعر حتى طلعنا على ثنيّة, فلما رأى رسول الله ‘ ذلك, عدل على كثيب, فأناخ عليه, ثم قام, وقام عليه من شاء الله, فما زال يصلي حتى طَلَع الفجر, فأخذ رسول الله ‘ برأس ناقته, ثم مشى وعبد الله الأسلمي إلى جنبه ما أحدٌ مع رسول الله ‘ غيره, فوضع رسول الله ‘ يدَه على صدره, ثم قال: >**قل**<, قلت: ما أقول؟ قال: >{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ}, {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ}, {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ}< حتى فرغتُ منها, فقال رسول الله ‘: >**هكذا فتعوَّذْ, فما تعوّذَ العبادُ بمثلهنّ قطُّ**<).

قال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح[1].

حديث آخر

أخرج أبو داود عن عقبةَ بنِ عامر قال: (بينا أنا أسير مع رسول الله ‘ بين الجُحْفَة والأبواء[2] إذ غَشِيَتْنا ريحٌ وظلمة شديدة

---

(1) انظر كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي برقم (2300), ومجمع الزوائد (149/7).

(2) **الجُحْفَة**: بالضم ثم السكون, كانت من قرية كبيرة ذات منبر علـى طريـق المدينة من مكة على أربع مراحل, وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة, وكان اسمها (مَهِيعَة), وإنما سميت الجحفة لأن السَّيل اجتحفهـا =

فجعل رسول الله ' يتعوّذ بـــ {..قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ} و{..قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ}, ويقول: >**يا عقبة, تعوّذْ بهما, فما تعوّذَ متعوِّذ بمثلهما**< قال: وسمعتُه يؤمُّنا بهما في الصلاة).

قلتُ: هذا حديث صحيح[1].

وحمل أهلها في بعض الأعوام, وهي الآن خراب, وقال الكلبي: ولما قدم النبي ' المدينةَ استوبأها وحُمَّ أصحابه, فقال: >اللهم حبّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد, الله بارك لنا في صاعنا وفي مدِّنا وصحّحْها لنا, وانقـــل حمّاهـــا إلى الجحفة< اهـــ من معجم البلدان (129/2), والحديث أخرجه البخاري في فضائل المدينة: باب كراهية النبي ' أن تعرى المدينة, برقم (1790).

والأبواء: قرية من أعمال الفُرْع في المدينة, بينها وبين الجحفة مما يلي المدينـــة ثلاثة وعشرون ميلاً, وسميت بالأبواء لتبوُّءِ السيول بها, وبالأبواء قبر آمنةَ بنتِ وهب أمِّ النبي ', وسبب دفنها هناك أنها كانت تخرج في كلِّ عامٍ من مكة إلى المدينة بعد وفاة زوجها عبد الله والد النبي ' تزور قبره, فلما بلغ النبيُّ ' ستَّ سنين خرجت زائرةً لقبره ومعها أمُّ أيمن حاضنة رســـول الله ', فلمـــا صـــارت منصرمةً إلى مكة ماتت بها, اهـــ من معجم البلـــدان (102/1), الطبقـــات الكبرى (116/1), السيرة النبوية (305/1).

(1) أخرجه أبو داود في الصلاة: باب في المعوذتين برقم (1462), وهناك مـــن حكم على الحديث بالضعف لأن فيه محمد بن إسحاق ابـــن يـــسار, وهـــو صدوق يدلس. تقريب التهذيب برقم (5725), ولم يصرح هنا بالـــسماع, قال صاحبا تحرير تقريب التهذيب تعقبًا على ابن حجر في ابن إسحاق: (بـــل =

حديث آخر

أخرج النسائي عن ابن عابِس الجهني: (أن النبي ' قال له: >**يا ابنَ عابس, ألا أدلُّك ــ أو ألا أخبرك ــ بأفضلِ ما يتعوّذ به المتعوِّذون؟**< قال: بلى يا رسول الله, قال: >{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ

ثقة مدلّس, وثّقه ابن معين وأحمد وسفيان بن عيينة وابن المديني, وأثنى عليه الجمُّ الغفير من العلماء, منهم شيخه الزهري, وعاصم بن عمر بن قتادة. وإنما تكلم فيه بعض من تكلم فيه بسبب العقائد أو ما يجري بين الأقران.. فهذا مما ينبغي عدم الالتفات إليه, ويكفي قول ابن عيينة فيه: جالست ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة, ولا يقول فيه شيئًا..) انتهى.

ولعل الغماري صحّحه لتعدد طرق الحديث, ولأنه جاء في مسند أحمد (114/4), وصحيح مسلم في صلاة المسافرين في فضل قراءة المعوذتين برقم (348), وجامع الترمذي في فضائل القرآن

= باب في المعوذتين برقم (2902), وسنن النسائي في الاستعاذة برقم (5436), وسنن أبي داود في الصلاة باب المعوذتين برقم (1462) بلفظ قريب من هذا اللفظ.

ٱلۡفَلَقِ} و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ}, **هاتان السورتان**<)[1].

حديث آخر

أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: (كان رسول الله ‘ يتعوّذ من أعين الجانّ وأعين الإنس, فلما نزلت المعوّذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك)[2].

وقال الترمذي: حديث حسن.

قلت: معنى الحديث, كما قال العلماء, أن النبي ‘ كان يتعوّذ من العين والحسد وشر الإنس والجنّ بتعاويذ وأدعية وأذكار, فلما نزلت المعوذتان صار يتعوّذ بهما وترك غيرهما لأنهما يكفيان عن سائر المعوّذات.

---

(1) النسائي في كتاب الاستعاذة: برقم (5432) بسند صحيح, وأحمد (417/3), وفي سنده انقطاع.

(2) الترمذي في كتاب الطب: باب ما جاء في الرقية بالمعوّذتين, برقم (2058), والنسائي في كتاب الاستعاذة: باب الاستعاذة من عين الجان, برقم (5494) وابن ماجه في كتاب الطب: باب من استرقى من العين, برقم (3511).

*   *   *

التداوي بسُوَرٍ وآيات من القرآن

أخرج ابن ماجه في السنن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه أبي ليلى قال: (كنتُ جالسًا عند النبي ' إذ جاءه أعرابيٌّ فقال: إن لي أخًا وَجِعًا, قال: >**ما وجعُ أخيك؟**< قال: بـــه لَمـــم[1], قـــال: >**اذهبْ فأتِني به**< قال: فذهب فجاء به, فأجلـــسه بـــين يديـــه, فسمعته عوّذه بفاتحة الكتاب, وأربع آيات من أول البقرة, وآيتين من وسطها, و{وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ}, وآية الكرسي, وثلاث آيات من خاتمتها, وآية من آل عمران, أحسِبُه قال: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}, وآية من الأعـــراف {إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ}, وآيـــة مـــن المؤمنون {وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ}, وآية من الجن {وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا}, وعشر آيات من أول الـــصافات,

---

(1) **اللمم**: الجنون.

وثلاث آيات من آخر الحشر, و{قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ}, والمعوذتين, فقام الأعرابي قد برئ ليس به بأس), ورواه أبو يعلى في المعجم, وأبو نصر السِّجْزي في الإبانة[1].

حديث آخر

أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والحاكم عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: (كنت جالسًا عند النبي ‘ فجاءه أعرابيٌّ فقال: يا نبيَّ الله, إن لي أخًا به وجَعٌ قال: **>وما وجعُه؟<** قال: به

---

(1) الحديث إسناده ضعيف, لتدليس أبي جَنَاب, وسيأتي تفصيل ذلك في الحديث الآتي.
أخرجه ابن ماجه في آخر كتاب الطب: باب الفزع والأرَق وما يتعوّذ منه, برقم (3549) من طريق أبي جناب عن ابن أبي ليلى عن أبيه.
وقد عزاه المؤلف رحمه الله تعالى إلى أبي يعلى في المعجم, وهذا سَبْق قلم منه, فلعله قصد مسند أبي يعلى فقد أخرجه هناك عن شيخه زحمويه ـ (167/3) برقم (1594) (في مسند رجل عن أبيه) ـ عن أبي جناب عن ابن أبي ليلى عن رجل عن أبيه, وزحمويه: هو زكريا بن يحيى الواسطي, وليس له في المعجم إلاّ حديث واحد غير هذا.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (115/5) وقال: رواه أبو يعلى, وفيه من لم يسمّ, وأبو جناب وهو ضعيف لتدليسه, وثّقه ابن حبان.

لَمم ــ أي مسٌّ من الجنّ ــ قال: >**فأتني به**<, قال: فوضعه بين يديه, فعوّذه النبي ‘ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من آخر سورة البقرة, وهاتين الآيتين {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ} وآية الكرسي, وآية من آل عمران {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}, وآية من الأعراف {إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ}, وآخر سورة المؤمنون {فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ}, وآية من سورة الجن {وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا}, وعشر آيات من أول الصافات, وثلاث آيات من آخر سورة الحشر, و{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ}, والمعوذتين, فقام الرجل وكأنه لم يشْكُ شيئًا قطّ).

وهذا لفظ رواية الحاكم[1].

---

(1) الحديث ضعيف.

رواه الإمام أحمد (128/5) من طريق أبي جناب عن عبد الله بن عيسى عن ابن أبي ليلى قال: حدّثني أبي بن كعب, فذكره.

ورواه الحاكم في المستدرك (412/4 ــ 413) وفيه أبو جناب أيضًا, قال =

وقال ابنُ أبي الدنيا في (مكايد الشيطان والهواتــــف): حـــدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري, حدثني علي بن عثمان اللاحقي, حدثتْني عبيدة بنت الوليد بن مسلم عن أبيها الوليد: (أن رجلاً أتى شجرةً أو نخلةً فسمع فيها حركةً, فتكلّم فلم يُجَبْ, فقرأ آية الكرسي فترل إليه شيطان فقال: إن لنا مريضًا فبِمَ نداويه؟ قال: بالذي أنزلتني به مـــن

الذهبي في تعليقه على هذا الحديث: أبو جناب ضعفه الـــدارقطني, الحـــديث منكر.

وأخرجه الطبراني أيضًا في الدعاء, برقم (1080) من طريق أبي جناب أيضًا.

وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة, برقم (632) من نفس طريـــق أبي يعلى في الحديث السابق.

فقد ظهر أن أبا جناب هذا دلّس الحديث أكثر من مرة؛

مرّةً رواه عن عبد الله بن عيسى عن ابن أبي ليلى عن أبيّ بن كعب ـــ كما في المسند والحاكم ـــ.

ومرّةً عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال: ... فذكره. ودلّس أيضًا في هذا الإسناد مرّة أخرى, فإن ابنَ أبي ليلى لم يسمعْه من أبيه, وإنما سمعه من رجل مجهـــول ـــ كما في رواية أبي يعلى وابن السني ـــ وهذا يسمى تدليسَ التسوية, وهو شرُّ أنواع التدليس, فمن تعمّده استحقَّ ترك حديثه.

الشجرة)[1].

* * *

(1) مكايد الشيطان لابن أبي الدنيا ص 39 (آية الكرسـي دواءٌ للمرضـى) ط: مكتبة القرآن. وانظر آكام المرجان ص 117.
والأثر فيه الوليد بن مسلم وهو مدلّس و لم يصرّح بالسماع.

التداوي بآخر سورة >المؤمنون<

أخرج أبو يعلى, وابن أبي حاتم, وأبو نعيم, وابن مردويه, والحكيم الترمذي, والخطيب البغدادي, من طريق ابن لهيعة, عن عبد الله بن هبيرة, عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق, فقال له رسول الله ‘: **>ما قرأتَ في أذنه؟<** قال: قرأتُ {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا} حتى فرغ إلى آخر السورة, فقال رسول الله ‘: **>لو أنّ رجلاً موقنًا قرأ بها على جبل لزال<**).

قال الحافظ الهيثمي: ابن لهيعة فيه ضعف, وحديثه حسن, وبقيّة رجاله رجالُ الصحيح[1].

وقال الحافظ السيوطي في التعقبات: طريقه على شرط

---

(1) مجمع الزوائد (5/115).

الحسن[1].

ورواه العقيلي في الضعفاء[2] من طريق سلام بن رَزِين قاضي أنطاكية عن الأعمش عن شقيقٍ عن ابن مسعود به, وحكم أحمد بوضعه فقلّده ابن الجوزي فذكر الحديث في الموضوعات[3].

لكنّ الإمام أحمد حكم بوضعه من أجل سلام بن رَزِين قاضي أنطاكية, وهو غير موجود في الطريق الذي حسّنه الحافظان الهيثمي والسيوطي, على أن في حكم أحمد بوضع الحديث نظرًا ظاهرًا لأن سلام بن رَزِين مجهول, وحديث المجهول لا يكون موضوعًا, بل غايته الضعف, بحيث إذا ضُمَّ إليه طريق آخر مثله كان حسنًا لغيره, أما إذا ضُمَّ إليه طريق حسن لذاته كما هنا فإنه يصير من قبيل الصحيح لغيره كما هو مقرر في كتب المصطلح[4].

---

(1) التعقبات ص 13.

(2) (163/2).

(3) في كتاب الطب: باب الاستشفاء بالقرآن (210/3).

(4) الحديث صحيح لغيره كما قال المؤلف.

أخرجه أبو يعلى في مسنده (458/8 برقم 5045) وعنه ابن السني في عمل =

اليوم والليلة (ص 298 برقم 631) والطبراني في الدعاء (305/2 ـ 306 برقم 1081) وأبو نعيم في الحلية (7/1), وذكره الحكيم الترمذي في النوادر (ص 303), ورواه الخطيب البغدادي في التاريخ (312/12 ـ 313) في ترجمة عفيف ابن سالم الموصلي أبي عمرو, كلُّهم من طريق الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة به.

و لم يصرِّحْ الوليد بن مسلم ـ وهو كثير التدليس ـ بالسماع من ابن لهيعة إلاّ عند أبي نعيم في الحلية, فثبت التصريح بالسماع, لذا زال التدليس. فالحديث حسن بهذه الطريق, لأن ابن لهيعة فيه ضعف.

ورواه العقيلي في الضعفاء (163/2) من طريق أخرى فيها (سلام ابن رزين القاضي), ثم قال العقيلي عقبه نقلاً عن أحمد بن حنبل كما في العلل (463/3): هذا الحديث موضوع, هذا حديث الكذابين. اهـ. وقال السيوطي في التعقبات (ص 13) بعد ذكره لكلام أحمد: له طريق آخر على شرط الحسن. اهـ.

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (175/2) في ترجمة (سلام بن رزين): لا يُعْرَف, وحديثه باطل, ثم ساق الحديث عن العقيلي

= بطريقه فنقل قول أحمد, وكذا قال في المغني (270/1), لكن ابن حبان ذكره في الثقات (300/8), وذكره ابن أبي حاتم و لم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً, فلا أدري سببًا لجرحه, وغاية ما فيه أنه مجهول, وحديثه ضعيف.

وقال ابن حجر ـ كما في الفتوحات الربانية (46/4) ـ: هذا حديث غريب... وعزاه إلى ابن أبي حاتم في التفسير.

وحاصله أن الحديث يرتقي بالطريقين المذكورين ـ'الأول الذي حسنه

=

فـــصـــل

إذا تأمّل القارئ الكريم تلك الأحاديث التي أوردناها معـــزوَّةً لرواتها وضَح له أمران:

الأول: أن التداوي بالقرآن العظيم وارد عن النبي ‘ ـــ من فعله أو أمره أو تقريره ـــ بطرق تفيد القطع واليقين, بحيث لا يسع مـــن وقف عليها ـــ وكان عنده مَسْكةٌ من علم ـــ أن يتشكّك في ذلك, أو يداخله أدنى احتمال.

وكيف يبقى مجال للشك أو الاحتمال في شيء رواه عن النبي ‘ أربعةَ عَشَرَ صحابيًا هم: عليٌّ, وابن مسعود, وأبو سعيد الخدري, وابن عباس, وجابر بن عبد الله, وعِلاقة ابن صُحار عمُّ خارجة بـــن الصلت, والسائب بن يزيد, وعائشة, وعثمان بن عفان, وعبـــد الله الأسلمي, وعقبة بن عامر, وابن عابس الجهني, وأبو ليلى, وأبيّ بـــن كعب, وفي هؤلاء من الخلفاء الراشدين عليّ وعثمان, ومن كبـــار

الهيثمي والسيوطي, والثاني الضعيف لجهالة سلام بن رزين’ ــــ إلى مرتبـــة الصحيح لغيره.

فقهاء الصحابة عليّ وابن مسعود وابن عباس وعائشة وأُبيّ بن كعب, ومن حفّاظهم أبو سعيد الخدري وابن عباس وجابر وعائشة, أضفْ إلى ذلك أنَّ الطرق تعدّدتْ عن بعضهم كأبي سعيد وعائشة وعقبة تعدُّدًا بلغَ حدَّ الشهرة والاستفاضة.

الثاني: أن أحاديث التداوي بالقرآن مُخَرّجة في كتاب الموطأ للإمام مالك, ومسند الإمام أحمد, وصحيحي البخاري ومسلم, وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه, وصحيح ابن حبان, ومستدرك الحاكم, وسنن الدارقطني, والبيهقي, ومعاجم الطبراني, ومسانيد البزار وأبي يعلى, وتفاسير ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابنه منده, وحلية الأولياء لأبي نعيم, وتاريخ بغداد للخطيب, ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي, وغيرها من كتب السنة التي عن طريقها وصل إلينا الهديُ النبوي, وبواسطتها نُقلَتْ إلينا شرائع الدين المحمدي, فمن يستطيع بعد هذا كلّه أن يُنكرَ التداوي بالقرآن الكريم ويجعله من قبيل الدجل والخرافات إلا أن يكون غريقًا في الجهل, عريقًا في الابتداع والانحراف عن السنة النبوية المطهرة؟!!.

فـــصـــل

والتداوي بالقرآن ثابت أيضًا بالكتاب الكريم, قـــال تعـــالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإســـراء: 82], قال القرطبي: و(مِنْ) لابتداء الغاية, ويَصِحُّ أن تكـــون لبيـــان الجنس, كأنه قال: وننزل ما فيه شفاء من القرآن, وفي الخبر: >**من لم يستشفِ بالقرآن فلا شفاه الله**<[1], وأنكر بعضُ المتأوِّلين أن تكون (مِنْ) للتبعيض, لأنه يَحْفَظ[2] من أن يلزمَه أنَّ بعضَه لا شفاء فيـــه, قال ابن عطية: وليس يلزمُه هذا, بل يصح أن إنزاله إنما هو مـــبعَّضٌ, فكأنه قال: وننزل من القرآن شيئًا شفاء, ما فيه كلُّه شفاء. اهــ.

وقال أيضًا في تفسير هذه الآية ما نصُّه:

المسألة الثانية: اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين:

أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها, وإزالة الريب, ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالّة

---

(1) سبق تخريجه ص 95.

(2) **يَحْفَظُ**: أي يأنف وينكر.

على الله تعالى.

الثاني: شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوّذ ونحوه.

وقد روى الأئمةُ ــ واللفظ للدارقطني ــ عن أبي سعيد الخدري قال: (بعثنا رسول الله ' في سَرِيّة ثلاثين راكبًا قال: فنزلنا على قوم من العرب فسألناهم أن يضيفونا, فأبَوا, قال: فلُدِغَ سيّدُ الحيّ, فأتَوْنا فقالوا: فيكم أحدٌ يرقي من العقرب, ــ في رواية ابن قتّة: إن الملك يموت ــ قال: قلتُ أنا: نعم, ولكن لا أفعل حتى تعطونا, فقالوا: فإنّا نعطيكم ثلاثين شاةً, قال: فقرأتُ عليه {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ} سبع مرات, فبرئ).

وفي رواية سليمان بن قتّة عن أبي سعيد الخدري: (فأفاق وبرِئ فبعث إلينا بالنُّزُل, وبعث إلينا بالشاء, فأكلنا الطعام أنا وأصحابي وأبَوْا أن يأكلوا من لحم الغنم حتى أتينا رسولَ الله ' فأخبرته الخبرَ فقال: <**وما يدريك أنها رقية؟**> قلتُ: يا رسول الله, شيءٌ أُلقِيَ في رُوعي, قال: <**كلوا وأطعمونا من الغنم**>).

خرّجه ــ يعني الدارقطني ــ في كتاب السنن(1), وخــرّج في كتاب المدبَّج[1](2), من حديث السري بن يحيــى قال: حدثنــي المعتمــر بن سليمــان عن ليث بن أبي

....

[1] بالباء المفتوحة المشدَّدة وبالجيم, من التدبُّج نوع معروف في مصطلح الحديث, ووقع في تفسير القرطبي (316/10): المديح بالياء والحاء, وكتَب المــصحّح تحته تعليقةً جاء فيها: في بعض الأصول المذبح, ولم نوفّقْ لتــصويبه. اهــ

---

(1) انظر ص 97 تعليقًا من هذا الكتاب.

(2) سمعتُ من بعض أهل العلم أنّ هناك من يشكّك في نــسبة هــذا الكتــاب للدارقطني, وهذا تسرّعٌ عجيب, فلو أن أحدَهم عاد إلى أبــسط كتــاب في المصطلح في نوع المدبَّج لوجد شفاءَه فيه إذ إن الدارقطني هو أوَّل من سمــاه بهذا الاسم, قال العراقي في التقييد والإيضاح ص 316 في معرفــة المــدبّج: (... فإن الحاكم نقل هذه التسمية عن بعض شيوخه من غــير أن يــسمّيه, والمراد به الدارقطني, فإنه أحد شيوخه, وهو أول من سماه بذلك فيما أعلــم, وصنف فيه كتابًا حافلاً سمّاه (المدبّج) في مجلد, وعندي به نسخة صحيحة...) اهــ من كلام العراقي.
وذكره السيوطي أيضًا في تدريب الراوي في معرفة المدبّج (218/2) وانظــر إن شئت فهرس ابن خير ص 523, ودائرة المعارف الإســلامية (89/9 ــ 90).

وكلاهما خطأ, وتصويبه ما أثبتنا.

سليم عن الحسن عن أبي أمامة عن رسول الله ‘ أنه قـــال: >**ينفـــع بإذن الله تعالى من البَرَص, والجنون, والجُذَام, والبطن, والـــسلّ, والحمّى, والنفس, أن تكتب بزعفران أو بمَشْق ـــ يعني المَغْرة ـــ**[1] **أعوذ بكلمات الله التامة وأسمائه كلِّها عامّة مـــن شـــرِّ الـــسامّة والهامّة**[1]**, ومن شرِّ العين اللامّة**[2]**, ومن شر حاسد إذا حسد**<.
وذكر حديثًا طويلاً, وهو حديث منكر[3], ثم قال: وروى البخاري عن

....

---

(1) المَشْق: هو المَغْرة: وهو الطين الأحمر الذي يُصْبَغُ به.

(2) التي تُصيبُ بسوء.

(3) قصد المؤلف بـــ (منكر) أي موضوع لأن الحديث:

من حيث السند ضعيف لوجود ليث بن أبي سُلَيم ـــ وقد قال ابن حجـــر في التقريب: صدوق اختلط جدًّا ولم يتميّز حديثه فتُرك ـــ.

ومن حيث المعنى منكر, فباجتماع الأمرين ـــ'الضعف مع النكارة في المعنى' ـــ يكون كالموضوع, قال الشيخ عبد الفتاح رحمه الله تعالى في تعليقـــه علـــى المصنوع ص20: ولفظُ (منكر) كثيرًا ما يطلقونه على الموضـــوع, يُـــشيرون بذلك إلى نكارة معناه, مع ضعف إسناده, وبطلان ثبوته, كما تـــراه شـــائعًا منتشرًا في كتب الموضوعات وكتب الرجال.

[1] في القرطبي (316/10): (والغامّة) وهو خطأ.

عائشة: (أن رسول الله ' كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوّذات, فلما ثَقُلَ كنتُ أنفث عليه بهنَّ, وأمسح بيـــدِ نفـــسهِ رجاء بركتها) فسألتُ الزهري[1]: كيف كان ينفث؟ قـــال: كـــان ينفث على يديه ويمسح بهما وجهَه(1).

وروى مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة (أن رسول الله ' كان إذا اشتكى قرأ على نفسه المعوّذتين وتفل أو نفث...)(1), قال أبو بكر ابن الأنباري: قال اللغويون: تفسير نفث: نفخ نفخًا ليس معه ريق, ومعنى تفل: نفخ نفخًا معه ريق. اهـــ من كلام القرطبي.

وقال ابن القيّم في زاد المعاد ما نـــصُّه: هديُـــه ' في رقيـــــة اللديـــغ بالفاتحة. وذكر حديث أبي سعيد الخدري,

....

[1] علّق على هذه الكلمة مصحّح تفسير القرطبي (317/10) بما نصُّه: الـــسائل هو عروة بن الزبير رواي الحديث, وهذا خطأ والصواب أن السائل هو مَعْمَر تلميذ الزهري.

---

(1) سبق تخريجه ص 106.

وحديث: >**خير الدواء القرآن**<[1] ثم قال: ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواصّ ومنافع مجرَّبة, فما الظنّ بكلام رب العالمين؟ الذي فضْلُه على كلِّ كلام كفضل الله على خلقه, والذي هو الشفاء التامُّ والعصمة النافعة والنور الهادي والرَّحمة العامة, والذي لو نزل على جبل لتصدَّع من عظمته وجلاله, قال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: 82] و(مِنْ) ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض, هذا أصحُّ القولين. اهـ.

قلتُ: والصحيح أن الآية تدلُّ على أن القرآن شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى وبالتعويذ ونحوهما, هذا هو الذي يترجّح من الآية, والدليل عليه أمور:

* **الأول**: أن القاعدة المقرَّرة في علم الأصول: (أن الكلام إذا احتمل التأكيد أو التأسيس فحمْلُه على الثاني أرجح) لأنه يفيد فائدة جديدة لم تكن في حمله على التأكيد, وبهذه القاعدة يتعيّن حمل الآية هنا على الشفاء من الأمراض الظاهرة لأنه تأسيس لمعنى جديد,

---

(1) سبق تخريجه ص 87.

بخلاف حملها على الشفاء من أمراض القلوب وريبها وجهلها, فإنه تأكيدٌ لما أفادته آياتٌ أخرى من هذا المعنى.

* **الثاني**: أن العطف يقتضي المغايرة, وعطف (رحمة) على (شفاء) يقتضي أن يبقى لفظ (شفاء) على ظاهره, لأن الرحمة معناها شفاء الأمراض الباطنة.

* **الثالث**: أنه ثبت ثبوتًا قطعيًّا أن النبي ' استشفى بالقرآن, وأقرَّ الصحابةَ على الاستشفاء به, وذلك لا يدعُ مجالاً للشكِّ في حمل الآية على الشفاء من الأمراض الظاهرة.

* **الرابع**: أن هذا المعنى ثبت عن أئمة التفسير كابن عباس ومجاهد وابن جرير وغيرهم.

* **الخامس**: من المعلوم ـ كما قال ابن القيم وغيره ـ أنّ بعضَ الكلام له خواصّ ومنافع مجرَّبة فما الظنّ بكلام ربّ العالمين؟.

* **السادس**: أنه إذا كان القرآن شفاء للأمراض الباطنة فما المانع أن يكون شفاء للأمراض الظاهرة, وما الفرق بينهما؟! وهل وردَ عن الله تعالى ورسوله ' أن القرآن لا يصلح دواءً إلا للأمراض الباطنة؟!! وأن استعمالَه للأمراض الظاهرة لا يجوز؟! بل الثابت عن

الله تعالى ورسوله ' وعلماء الأمة أن القرآن شفاء للأمراض الظـــاهرة والباطنة, الحسيّة والمعنوية.

* **السابع**: ما أثبتته التجارب المتكـــررة في قـــضايا متعـــددة ـــ بعضُها عن النبي ' وبعضها عن الصحابة وبعـــضها عـــن التـــابعين وغيرهم ـــ أنهم استعملوا القرآن دواء لأمراض ظاهرة كلدغٍ أو سَمٍّ أو جنونٍ أو بثرةٍ أو غير ذلك, فنجعَ الدواءُ ووقع الشفاءُ, ولا شكَّ أن المجرَّبات من القضايا اليقينيات كما تقرّر في علم المنطق[1].

فـــصـــل

والإجماع منعقد على جواز التداوي بالقرآن الكريم بل علـــى استحبابه, منذ عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم, وهلمَّ جـــرًّا إلى أن فشتِ البِدَعُ وظهر المبتدعة الذين سمَّوا أنفسَهم مـــصلحين[1], أرادوا أن يصلحوا الدين ويهذِّبوه, ناسين أو متناسين أن الدّين وضعٌ إلهـــي نزل به الروح الأمين على سيّد العالمين, لا يمكن أن تمتدّ إليه يدُ أحد من البشر ـــ كائنًا من كان ـــ بإصلاحٍ أو تهذيب, بـــل الواجـــب الانقيـــاد لمـــا ثبـــت عن الله ورسولـــه ' لا يُتَحَمَّل في ردّه

(1) انظر لزامًا ص 75.

....

[1] وعلى هؤلاء ينطبق قولُه تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}, فإن كثيرًا من المفسرين حَملوها علـــى المنـــافقين, ولكن الصحيح في تفسيرها ما صحَّ من طرقٍ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: لم يجئ أهلُ هذه الآية بعد. وفي روايةٍ عنه: ما جاء هؤلاء. اهـــ.
وهذا التفسير من قبيل المرفوع, وهو ينطبق على هؤلاء المبتدعة تمام الانطباق, ولفظة الإصلاح هم الذين أطلقوها على آرائهمُ الفاسدة كما نحلوا زعماءهم لفظ المصلح, وقبل ظهور هذه الفئة لم يفكّرْ أحدٌ في إصلاح الدين برأيه[1] .

بتكلّفِ تأويل أو تعلّل برأي حقير أو جليل, {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. [النور: 51].

ونحن نُورِدُ نصوصًا تثبتُ ما ذكرناه من الإجمـــاع وتؤيِّـــده, ليُعلَم مبلغُ إجرام ذلك المبتدع الذي زعم التداوي بالقرآن العظـــيم دَجْلاً وخرافاتٍ, قاتله الله, ما أكثرَ جهلَه وأشدَّ جراءتَه.

قال الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد عن عَمْرةَ بنـــتِ

---

(1) انظر تفصيل هذا القول في كتاب (مطابقة الاختراعات العصرية) للشيخ أحمد الغماري الطبعة الأزهرية الأولى ص 66, لأن بعض المعاصرين طبعه وحذف منه الشيء الكثير سامحه الله.

عبد الرحمن (أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها, فقال أبو بكر: ارقيها بكتاب الله)[1].

قال الإمام أبو الوليد الباجي في المنتقى[2]: قول أبي بكرٍ لليهودية: >**ارقيها بكتاب الله**< ظاهره أنه أراد التوراة, لأن اليهودية في الغالب لا تقرأ القرآن, ويحتمل ـــ والله أعلم ـــ أنْ يريد: بذكر الله[3] عَزَّ اسمُه, أو: رقيةً موافقةً لما في كتاب الله تعالى. اهـ.

قلتُ: وإذا جاز الاسترقاء بالتوراة فجوازه في القرآن أولى وأظهر كما هو ظاهر.

وقال الحافظ ابن كثير: ورُوِّينا عن أمير المؤمنين عليٍّ ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: (إذا أراد أحدُكم الشفاء فلْيكتب آيةً من كتاب الله في صحيفةٍ, ولْيغسلها بماء السماء, ولْيأخذ من امرأته درهمًا عن طيب نفسٍ منها, فلْيشترِ به عسلاً فلْيشربه كذلك فإنه شفاء). قال ابن كثير: أي من وجوه, وقال الله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا

(1) الموطأ في كتاب العين: باب التعوذ والرقية من المرض.

(2) (261/7).

(3) أي أنه أراد بقوله: (بكتاب الله): ذِكْرَ الله سبحانه وتعالى, أو رقية موافقة لما في كتاب الله تعالى.

هُوَ شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ} [الإسراء: 82], وقال: {وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا} [ق: 9], وقال: {فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا} [النساء: 4], وقال في العسل: {فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ} [النحل: 69] اهـ[1].

وقال الباجي[2]: كانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الاسترقاء.

قال مالك رضي الله عنه في العتبيّة[3]: بلغني أنها كانت ترى

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [النحل: 69].

(2) المنتقى (261/7).

(3) **العُتْبِيَّة**: كتاب يُعدُّ من أصول الفقه المالكي, ويسمى أيضًا المستخرجة. قال عياض في ترتيب المدارك (144/3) في ترجمة العتبي محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة المتوفّى 254هـ:

(قال ابن لبابة:

وهو الذي جمع المستخرجة وكثّر فيها من الروايات المطروحة, والمسائل الشاذّة, وكان يأتي بالمسائل الغريبة, فإذا أعجبتْه قال: أدخلوها في المستخرجة, وقال ابن وضّاح: وفي المستخرجة خطأ كثير. قال أسلم بن عبد العزيز: قال لي محمد بن عبد الحكم: أتيتُ بكتب حسنة الخطّ تُدعى المستخرجة, من وضع صاحبكم العتبي, فرأيتُ جلّها مكذوبًا, ومسائل لا =

البَثْرة[1] الصغيرة في يدها فتُلِحُّ عليها بالتعويذ, فيقال لها: إنها صغيرة, فتقول: إن الله عز وجل يعظِّم ما يشاء من صغير ويصغِّر ما يشاء من عظيم. اهـــ.

وقال ابن القيّم في الكلام على علاج العين ودفع ضرر العائن من زاد المعاد ما نصّه[2]: ورأى جماعةٌ من السلف أن يُكتــب لــه الآيات من القرآن, ثم يشربها, قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القــرآن ويغسله ويسقيه المريض, ومثله عن أبي قِلابةَ. ويُذكر عن ابن عباس: (أنه أمرَ أن يكتب لامرأة تعسّر عليها ولادُها أثرٌ من القرآن, ثم يغسل وتُسقَى)[3].

أصول لها. وكان أحمد بن خالد ينكر على ابن لبابة قراءتها للناس شديدًا).

(1) **البَثْرة**: الخرّاج الصغير.

(2) زاد المعاد في هديه ' في علاج المصاب بالعين (157/4).

(3) علّق الغماري على هذا الأثر قائلاً: (رواه أحمد).

لكنني لم أجده في مسند أحمد, علمًا أنه المقصود إذا أطلِقَ, وإنني وجــدتُ أنَّ الغماري قلَّدَ الشبلي ــ المتوفّى (769هــ) صاحب آكام المرجان في أحكام الجان ــ في عزو الأثر إلى أحمد وغيره, فقد قال في آكام المرجان ص 102: نصّ على ذلك أحمد وغيره.. واحتجَّ بما رواه بإسناده عن ابن عبـــاس... ثم ساق الأثر فوَهِمَ الغماري في ذلك.

=

وقال أيوب: رأيتُ أبا قِلابةَ كتب كتابًا من القرآن, ثم غسله بماء, وسقاه رجلاً كان به وجعٌ. اهـ[1].

وقد علّق عليه بعض جَهلة المبتدعة يناقشه في صحة هذه الآثار وما درى أنها مسندةٌ في كتب لم يَرَها هذا المبتدع الجاهل, ولا يمكنه أن يراها كمصنّف ابن أبي شيبة ومسنده, ومصنف عبد الرزاق, وكتب ابن جرير, وكتب الخلاّل شيخ الحنابلة, وغيرها مما ينقل عنها ابن القيّم.

وقال في كتاب (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي):

والأثر رواه ابنُ السني في عمل اليوم والليلة, في باب ما تُعَوَّذُ به المرأة التي تطلقُ, بسنده إلى ابن عباس مرفوعًا بلفظ: <إذا عَسُرَ على المرأة وَلَدُها, أخذ إناءً لطيفًا يكتبُ فيه: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ} و{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} ثم يُغسلُ

= ويسقى المرأة منه, وينضحُ على بطنها وفرجها>.

قال بشير محمد عيون في تعليقه على الأثر: وفي سنده ابن أبي ليلى سيء الحفظ جدًّا, وعبد الله بن محمد بن المغيرة. قال أبو حاتم: ليس بالقوي, وقال ابن يونس: منكر الحديث, وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يُتابع عليه.

(1) رواه معمر في جامعه (152/11).

ولو أحسن العبدُ التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الـــشفاء, ومكثتُ بمكة مدةً تعتريني أدواء ولا أجدُ طبيبًـــا ولا دواءً, فكنـــتُ أعالج نفسي بالفاتحة, فأرى لها تأثيرًا عجيبًا, فكنتُ أصفُ ذلك لمـــن يجد ألمًا, وكان كثير منهم يبرأ سريعًا. اهـــ(1).

وقال القرطبي في كتاب التذكار في باب الآداب الـــتي تلـــزم حامل القرآن:

ومنها: ألا يمحوَه من اللوح بالبصاق, ولكن يغسله بالماء ويتوقّى النجاسة من المواضع النجسة, والمواضع التي توطأ, فإن لتلك الغُسَالة حرمة, وكان مَن قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته, وفي التتريل: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: 82], وقال: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ} [يونس: 57], وأخبر ‘أن خاتمة القرآن معوِّذتان لم يتعوّذ بمثلهما, ورقى أبو سعيد الخدري اللديغَ بفاتحة الكتاب, فبرئ, وأعطوه قطيعًا من الغنم ثلاثين شاةً, وفي

---

(1) (الجواب الكافي) لابن قيم الجوزية ص30, تحقيق: مصطفى شلبي.

الجملة أن الكلام مما يستشفى به... إلى أن قال: وقد جاء عن المتقدمين في باب الاحترازات من المخاوف والاستشفاء من الأمراض بآيات القرآن ما هو مذكور في غير هذا الموضع, وأنهم انتفعوا بذلك, فكان ذلك أدلَّ دليل على أن القرآن من عند الله تعالى.

ومنها: إذا اغتسل بكتابته مستشفيًا من سَقَم ألا يصبَّه على كُناسة ولا في موضع نجاسة, ولا على موضع يوطأ, ولكن في ناحية من الأرض في بقعة لا يطؤها الناس, أو يجد حفرة في موضع طاهر حتى يصبَّ من جسده في تلك الحفرة ثم يكبها, أو نهر كبير يختلط بمائه فيجري. اهـ[1].

وقال في التفسير ـ أي القرطبي ـ: روى ابن مسعود (أن رسول الله ‘ كان يكره الرقى إلا بالمعوّذات), قال الطبري: وهذا حديث لا يجوز الاحتجاج به في الدين, إذ في نَقَلَتِه منْ لا يُعرَف, ولو كان صحيحًا لكان إمَّا غلطًا وإمّا منسوخًا, لقوله ‘ في الفاتحة: **>ما أدراكَ أنها رقية<**, وإذا جاز الرُّقى بالمعوذتين وهما سورتان من

---

(1) من كتاب (التذكار) الباب الثالث والثلاثون في الآداب التي تلزم حامل القرآن وقارئه من التعظيم للقرآن وحرمته, ص 169ـ170.

القرآن, كانت الرقية بسائر القرآن مثلهما في الجواز, إذ كلُّه قرآن, ورُويَ عنه ‘ أنه قال: **>شفاء أمتي في ثلاث: آية من كتاب الله, أو لعقة من عسل, أو شرطة من محجم<**[1], وقال رجاء الغَنَوي: من لم يستشفِ بالقرآن فلا شفاء له. اهـ[2].

وروى الثعلبي عن الشَّعْبي أن رجلاً شكا إليه وجع الخاصرة, فقال الشعبي: عليك بأساس القرآن, قال: وما أساسُ القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب[3].

وقال الربيع: سألتُ الشافعي عن الرقية: فقال: لا ’بأس أن يرقى بكتاب الله, وما يعرف من ذكر الله.

قلتُ: أيرقي أهلُ الكتابِ المسلمين؟ قال: نعم, إذا رَقَوْا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله. اهـ. نقله الحافظ ابن حجر في فتح

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الطب: باب الشفاء في ثلاث, من حديث ابن عباس مرفوعًا, برقم (5681), ولفظه: >الشفاءُ في ثلاثة: في شرطةِ محجم, أو شربة عسل, أو كيَّةِ نار, وأنهى أمتي عن الكيّ<.

(2) تفسير القرطبي (286/5) [سورة الإسراء: 82].

(3) تفسير القرطبي (113/1).

الباري[1].

وقال ابنُ أبي الدنيا في كتاب التوكل: حدثنا محمد ابن إدريس أخبرنا موسى بن أيوب أخبرنا بَقيَّة عن زرعة ابن عبد الله الزُّبيـــدي عن عبد الله بن كريز قال: كتب عامل أفريقية إلى عمر بـــن عبـــد العزيز يشكو الهوامّ والعقارب, فكتب إليه: وما علـــى أحـــدكم إذا أصبح وإذا أمـــسى أن يقـــول: {وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ} [إبراهيم: 12]. اهـــ[2].

قلتُ: هذا تعوُّذ, وهو من جنس التداوي كما سبق, وقـــال

---

(1) في كتاب الطب: باب الرقى بالقرآن والمعوّذات (197/10).
وهذا الأثر أخرجه البيهقي في (سننه الكبرى) (349/9) بإسناد صحيح كما قال النووي في المجموع (62/9).

(2) من كتاب (التوكل على الله) لابن أبي الدنيا, ص 60, وفي آخر الخبر قـــال زرعة: وهي تنفع البراغيث.
وهذا الخبر بهذا السند ضعيف لأمرين:
الأول: أن فيه بقيّة بن الوليد, قال في التقريب: صدوق كثير التدليس, مـــن الضعفاء. اهـــ. وهنا لم يصرِّحْ بالسماع.
الثاني: أن فيه زرعة بن عبد الله الزُّبيدي, وهو شيخ لبقيّة, وهو مجهول. لسان الميزان (475/2).

الحافظ ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد: الباب الرابع والعشرون في ذكر تبرُّكه واستشفائه بالقرآن وماء زمزم.

أخبرنا محمد بن أبي منصور أنبأنا عبد القادر بن محمد أنبأنــا إبراهيم بن عمر البرمكي حدثنا عبد الرحمن ابن أبي حاتم حدثنا صالح ابن الإمام أحمد قال: (كنتُ ربما اعتللت, فيأخذ أبي قدحًا فيه مــاء فيقرأ فيه ثم يقول: اشرب منه واغسل وجهَك ويديك). اهـــ[1].

وقال ابن حزم في المحلّى[2]: مسألة: والإجارة جائزة في تعلــيم القرآن, وعلى تعليم العلم مشاهرةً وجملة, وكل ذلك جائز, وعلــى الرقى, وعلى نسخ المصاحف, ونسخ كتب العلم, لأنه لم يــأتِ في النهي عن ذلك نصٌّ, بل قد جاءت الإباحة... ثم أسند من طريــق البخاري حديث ابن عباس في رقية اللديغ بفاتحة الكتاب, وقول النبي ‘: **>إن أحقَّ ما أخذتُم عليه أجرًا كتــاب الله<**[3]... ثم حكــى جوازَ ذلك كله عن مالك والشافعي وداود الظاهري... وحَكَى عن

---

(1) من كتاب (مناقب الإمام أحمد) ابن الجوزي, ص 186.

(2) (193/8) برقم (1307).

(3) سبق ذكره ص 99.

أبي حنيفة والحسن بن حيّ أنه لا تجوز الإجارة على تعليم القـــرآن, وذكر أدلتَهما ثم نقضها واحدًا واحدًا.

وقال الإمام النووي في شرح مسلم في الكلام على حديث أبي سعيد الخدري في رقية اللديغ بالفاتحة[1] ما نصُّه: >**ما أدراك أنهـــا رقية**< فيه التصريح بأنها رقية, فيستحبُّ أن يقرأ بها علـــى اللـــديغ والمريض وسائر أصحاب العاهات, والأسقام, وقولـــه ‘: >**خـــذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم**< هذا تصريح بجواز أخذ الأجر على الرقية بالفاتحة والذكر, وأنها حلال لا كراهةَ فيها, وكذا الأجرة على تعليم القرآن, وهذا مذهب الشافعي ومالك وأحمد وإســـحاق وأبي ثور وآخرين من السلف ومن بعدهم, ومنعها أبو حنيفـــة في تعلـــيم القرآن وأجازها في الرقية, وأما قوله : >**واضربوا لي بسهم معكم**< فإنما قاله تطييبًا لقلوبهم ومبالغة في تعريفهم أنه حلال لا شبهة فيـــه. اهـــ كلامه, وكذا قال المازَرِي وعيـــاض والقـــرطبي والأُبّـــي في شروحهم على مسلم.

---

(1) سبق تخريجه ص 97.

وقال الإمام أبو سليمان الخَطَّابي: المنهي عنه من الرقى ما كان بغير لسان العرب فلا يُدرى ما هو ولعلّه قد يدخله سحر أو كفـــر, فأما إذا كان مفهومَ المعنى وكان فيه ذكر الله فإنه مستحبّ متبرّك به. اهـــ. ولا شكّ أن القرآن أفضل الأذكار.

وقال الحافظ ابن كثير في الكلام على قوله تعالى ـــ في سورة النحل ـــ: {فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ} ما نصّه: وقال مجاهد وابن جرير في قوله: {فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ} ما نصّه: وقال مجاهد وابن جرير في قوله: {فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ} يعني القرآن, وهذا قول صحيح في نفسه, ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية, فإن الآية إنما ذكر فيها العسل, ولم يُتَابَعْ مجاهدٌ على قوله ههنا, وإنما الذي قاله, ذكروه في قوله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}, وقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} اهـــ.

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري في الكـــلام علـــى حديث أبي سعيد في الرقية بالفاتحة: في الحديث جوازُ الرقية بكتـــاب الله, ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور, وكذا غير المأثور مما

لا يخالف ما في المأثور, وأما الرقى بما سوى ذلك فليس في الحـــديث ما يثبته ولا ما ينفيه[1], وفيه الاجتهاد عند فقد النصّ وعظمة القرآن في صدور الصحابة خصوصًا الفاتحة. اهـــ ملخّصًا.

---

(1) وأما ما يفعله بعضُ الناس اليوم من كتابة رقى وكلمات وتعاويذ لا يُـــدرى معناها, بشكل مقطّع ضمن مربعات يذكرون فيها أسماء أعجمية فهذا كلُّــه غير معقول المعنى, لذلك نهى العلماء عن استخدامها احتياطًا, ويؤيِّد ذلـــك حديث مسلم الذي مرَّ ذكره عن عوف بن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية, فقلنا: يا رسول الله, كيف ترى في ذلك؟ فقال: >اعرضوا عليَّ رُقــاكم, لا بأس بالرقى

= ما لم يكن فيه شرك<.

فالنبي ' كان يقرُّهم في الرقى التي لا شرك فيها, والمعقولةِ المعنى, وينهى عـــن غير ذلك مما فيه شرك أو كان غير معقول المعنى, وعلى هذا حـــديث ابـــن مسعود الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم: قال رسول الله ': >إن الرقى والتمائم والتِوَلة شرك<.

والتمائم: جمع تميمة, وهي خرزٌ أو قلادة تعلق في الرأس, كانوا في الجاهليـــة يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات.

والتِوَلَة: نوع من السحر, كانت المرأة تجلب به محبةَ زوجها.

وقد قال الحافظ ابن حجر في تعليقه على هذا الكلام في الفتح: وإنمـــا كـــان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله تعالى, ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله تعالى وكلامه.

وقال أيضًا: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتمـــاع ثلاثة شروط:

1ً ــ أن يكون بكتاب الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

2ً ــ وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

3ً ــ وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثّر بذاها بل بذات الله تعالى. اهــ.

ثم ذكر أحاديث صحيحة في جواز مطلق الرُّقى إذا لم يكـــن فيها شرك... راجِعْه في كتاب الطب من فتح الباري.

وقال الإمام ابن التين في شرح البخاري: الرقـــى بـــالمعوّذات وغيرِها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني إذا كان على لـــسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى, فلما عزّ هذا النـــوع فزِع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقـــى المنـــهيّ عنـــها الـــتي يستعملها المُعَزِّم وغيره ممن يدَّعي تسخير الجنّ له, فيأتي بأمور مشتبهة مركّبة من حقٍّ وباطل يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكـــر الشياطين والاستعانة هم والتعوّذ بمَرَدَتِهم, ويقال: إن الحية لعـــداوها

للإنسان بالطبع تصادق الشيطان لكونهم أعداء بني آدم, فإذا عــزم على الحية بأسماء الشياطين أجابتْ وخرجت من مكانها, وكذا اللديغ إذا رقى بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان فلذلك كُرِهَ من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصَّةً وباللسان العــربي الــذي يُعرف معناه ليكون بريئًا من الشرك, وعلى كراهية الرقى بغير كتــاب الله علماءُ الأمة. اهـــ[1].

وقال العلامة المحدّث القاضي أبو عبد الله الشبلي الحنفــي في (آكام المرجان)[2]: قدمنا أن عامة ما بأيدي النــاس مــن العــزائم والطلاسم والرقى لا تفقه بالعربية معناها, ولهذا نهى علماءُ المسلمين عن الرقى غير المفهومة المعنى, لأنها مظنّةَ الشرك وإن لم يعرفِ الراقي أنها شرك, ومن رتع حول الحمى أوشك أن يقعَ فيه, وفي الــصحيح عن النبي ^ (أنه رخَّص في الرقى ما لم يكن شركًا وقــال: >**مــن**

---

(1) انظر فتح الباري (196/10).

(2) ص 102 الباب الثامن والأربعون.

استطاع أن ينفعَ أخاه فليفعلْ<)[1] وفي التطبُّب والاستشفاء بكتاب الله عز وجل غنًى تامّ, وَمَقْنِع عام, وهو النــور, والــشفاء لمــا في الصدور, والوقاء الدافع لكلِّ محذور, والرحمة للمؤمنين من الأحيــاء وأهل القبور, وفقنا الله لإدراك معانيه, وأوقفنا عند أوامره ونواهيه, ومن تدبّر آيات الكتاب, من ذوي الألباب, وقف على الدواء الــشافي لكل داء موافي, سوى الموت الذي هو غاية كلّ حيّ, فإن الله تعالى يقول: {مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ} [الأنعــام: 38], وخــواصّ الآيات والأذكار لا ينكرها إلا من عقيدته واهية, ولكن لا يعقلها إلا العالمون. اهــ.

وقال العلامة المحدّث القسطلاني في المواهب اللدنية[2]: اعلم أن الله تعالى لم يُنَزِّل من السماء شفاء قط أعمّ ولا أنفع ولا أعظــم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء, ولصدأ القلوب جلاء

---

(1) مسلم كتاب السلام: باب استحباب الرقية مــن العــين والنملــة, بــرقم (2199).

(2) (65/7).

كما قال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} ولفظةُ (من) ــ كما قال الإمام فخر الدين ــ ليست للتبعيض بل للجنس, والمعنى: ونُنَزِّل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاءً من الأمراض الروحانية, وشفاءً أيضًا من الأمراض الجسمانية. اهـ ثم بيّن ذلك بما يعلم من مراجعته في الجزء الثاني من المواهب تحت ترجمة (النوع الأول: في طبّه ‘ بالأدوية الإلهية), وأغلبه ملخّص من فتح الباري للحافظ ابن حجر.

ونقل في المواهب اللدنية وغيرها عن أبي القاسم القشيري أن ولدَه مرض مرضًا شديدًا حتى أشرف على الموت, فاشتدّ عليه الأمر, قال: فرأيتُ النبيّ ‘ في المنام فشكوتُ إليه ما بولدي, فقال: أين أنت من آيات الشفاء؟ فانتبهت فأفكرت فيها فإذا هي في ستة مواضع من كتاب الله وهي قوله:

1ً ــ {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} [التوبة: 14].

2ً ــ {وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ} [يونس: 57].

3ً ــ {يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ

لِّلنَّاسِۗ}

[النحل: 69].

4ً ــ {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ}

[الإسراء: 82].

5ً ــ {وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ} [الشعراء: 80].

6ً ــ {قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ}

[فصّلت: 44].

قال: فكتبتُها ثم حللتُها بالماء وسقيتُه إياها فكأنما نَشِطَ من عِقال. اهـ.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار[1], في الكلام على حديثَي ابن عباس وأبي سعيد الخدري في الرقية بفاتحة الكتاب, ما نصّه: وفي الحديثين دليل على جواز الرقية بكتاب الله تعالى, ويلتحقُ به ما كان بالذكر والدعاء المأثور, وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور,

---

(1) (31/6).

وأما الرقى بغير ذلك فليس في الأحاديث ما يثبته ولا ما ينفيه إلا ما سيأتي في حديث خارجة. اهـــ.

يريد قولَه ‘ لعمِّ خارجة: **>خذها فَلَعَمري من أكل برقيـــة باطل, لقد أكلتَ برقية حقّ<**.

قال الشوكاني: والرقى الباطلة المذمومة هي التي كلامها كفر, أو التي لا يعرف معناها كالطلاسم المجهولة المعنى. اهـــ.

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني في الرسالة[1] ما نـــصُّه: ولا

---

(1) (410/2), باب في التعالج وذكر الرقى والطِّيَرَة...

(الرسالة) للإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيـــد القـــيرواني, المتـــوفى ســـنة 386هـــ, وهي جواب لرسالةٍ أرسلها إليه الشيخ الصالح أبو محفوظ مُحْـــرَز بن خلف الصّدفي التونسي, وقيل: هو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمـــد السباني, وعلى الأول اقتصر أصحاب التقاييد, وعلى الثاني اقتصر المؤرِّخون, وقد رجّح الشيخ زرّوق شارحُ الرسالة الأولَ.

ومضمون الرسالة كما قال مؤلّفها القيرواني:... فإنك سألتني أن أكتب لـــك جملة مختصرة من واجب أمور الديانات مما تنطق به الألسنة, وتعتقده القلوب, وتعمله الجوارح, وما يتصل بالواجب من ذلك من الـــسنن مـــن مؤكَّـــدها ونوافلها ورغائبها, وشيء من الآداب منها, وجمل من أصول الفقه وفنونـــه على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى. اهـــ.

=

بأس بالرقى في كتاب الله, وبالكلام الطيب. اهـــ.

قال العلامة ابن ناجي في شرحه عليها: قال في البيان[1]: مالـــك الرقى بالحديد والملح وعقد الخيوط, لأن الشفاء لا يكون إلاّ بكتاب الله وأسمائه وما يعرف من الذكر. اهـــ.

وقال ابن ناجي أيضًا: الأصل في جواز الاسترقاء قولُه تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}, وقوله تعالى: {وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ} اهـــ.

وكذا استدلّ العلامة الشيخ زرّوق في شرح الرسالة على جواز الاسترقاء بالقرآن بالآية الأولى, وبحديث أبي سعيد الخدري في رقيـــة اللديغ بالفاتحة, ثم قال: وأمّا الكلام الطيب فهو العربي المفهوم المحتوي

= وقد كتب الله تعالى لهذه الرسالة أن يشرحها الشيخ قاسم بن عيسى بن ناجي التّنوخِيُّ الغروي المتوفى سنة 837هـــ, ثم شرحها شرحًا آخر الشيخ أحمد بن محمد البُرُنُّسي الفاسي المعروف بـــ زرّوق المتوفى سنة 899 هـــ رحمهـــم الله تعالى... والرسالة بشرحها طبعت في دار الفكر 1982 في جـــزأين بمجلّـــد واحد.

(1) البيان والتحصيل لابن رشد (165/17) في الرقى بالحديـــد والملـــح وعَقْـــد الخيط.

على ذكر الله ورسوله والصالحين من عباده, لا الموهمات والمبهمات, إذ حكى المازري أن مالكًا سئل عن الأسماء المعجمة فقال: ما يدريك؟ لعلّها كفر... وعلى هذا فالأصل المنع حتى يأتي المبيح, وقال بعضُهم: الأصل خلاف ذلك حتّى يتبيّن الباطل, لأنه ‘ حين قال: **>اعرضوا عليّ رُقاكم<** فعرضوا, فقال: **>لا أرى بها بأسًا<** الحديث. اهـ.

ونصوص العلماء على جواز الاسترقاء بالقرآن بل على استحبابه كثيرة, يعسر تتبُّعها وإحصاؤها, وذلك محلُّ إجماع كما تقدّم في كلام الحافظ ابن حجر وغيره...

نعم.. اختلف العلماء في النُّشْرة ـ بضمِّ النون ـ وهي أن يُكتَب شيء من القرآن أو شيء من أسماء الله ثم يغسل بالماء ثم يمسح به المريض جسمَه أو بعضَه, أو يشربه.

قال المَازَري[1]: النُّشرة أمرٌ معروف عند أهل التعزيم, وسميت بذلك لأنها تُنَشّر عن صاحبها ـ أي تُحَلُّ ـ اهـ.

---

(1) المُعْلِم بفوائد مسلم لأبي عبد الله محمد بن علي المازري المتوفى سنة 536هـ. (260/2) باب استحباب الرقية من العين والنملة, ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر.

فذهب جماعة إلى جوازها كما سبق في كـــلام ابـــن القـــيم والقرطبي.

وممن أجازها سعيد بن المسيَّب[1] قيل له: الرجل يُؤخَّذ عـــن امرأته, أيحلّ عنه ويُنَشَّر؟ قال: لا بأس به, وما ينفع لم يُنْه عنه. اهـــ.

وكانت عائشة تقرأ بالمعوّذتين في إناء ثم تأمر أن يـــصبّ علـــى المريض, وعن مجاهد روايتان, فمرّة قال: لا بأس أن يكتب القـــرآن ويغسله ويسقيه المريض, ومرّة: لم يرَ أن تكتب آيات من القـــرآن ثم تغسل ثم يسقاها صاحبُ الفزع.

وروى عبد الرزاق[2] عن الشَّعْبي قال: لا بأس بالنُّشرة العربية التي إذا وطئتْ لا تضرّه, وهي أن يخرج الإنسان في موضع عِضَاه[3] فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كلٍّ ثم يدقّه ويقرأ فيه ثم يغتسل بـــه, وكره الحسن النُّشرة, ومنعها إبراهيم النَّخَعي, قال الحسن: (ســـألتُ

---

(1) صحيح البخاري في كتاب الطب: باب هل يُسْتَخْرَج السِّحر.

(2) في مصنفه (13/11).

(3) **العِضَاه:** جمع عِضَاهة وعِضَة, وهي الشجرة العظيمة التي لها شوك.

أنسًا فقال: ذكروا عن النبي ‘ أنها من الشيطان), وقد روى أبو داود عن جابر قال: سئل رسول الله ‘ عن النشرة فقال: **>هو من عمـــل الشيطان<**(1).

قال الحافظ ابن عبد البرّ: هذه آثار ليّنة[1] ولها وجوه محتملة, وقد قيل: إن هذا محمول على ما إذا كانت خارجةً عما في كتاب الله وسنة رسوله ‘, وعن المداواة المعروفـــة, والنُّشْـــرة مـــــن جـــنس الطب فهي غسالة شيء له

....

[1] يعني الآثار الواردة في كراهة النُّشرة, معنى ليّنة أي أن فيها ضعفًا خفيفًا.

فضل, فهي كوَضوء رسول الله ‘(2), وقال رسول الله ‘: **>لا بـــأس بالرقى ما لم يكن فيه شـــرك, ومـــن اســـتطاع أن ينفـــع أخـــاه فليفعل<**(3) اهـــ.

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الطب: باب في النُّشْرَة, برقم (3868).

(2) حين توضّأ النبيُّ ‘ وصبّ فضلَ وَضُوئه على جابر إذ كان مريضًا, أخرجـــه البخاري في كتاب المرضى: باب عيادة المغمى عليه, برقم (5651).

(3) سبق تخريجه ص 56.

وقال الأُبِّيُّ في شرح مسلم[1]: واختلف في النُّشرة ــ وهي أن يكتب شيئًا من أسماء الله تعالى ومن القرآن الكريم ثم يغسله بالمـــاء ثم يُمْسَح به المريض أو يُسقاه ــ فأجازه ابن المسيَّب, وسئل عن الرجل يُعْقَد عن امرأته أَيُحَلُّ عنه ويُنَشَّرُ؟ قال: لا باس به وما ينفع لم ينـــهَ عنه, وقال المازريّ: النشرة أمر معروف عند أهل التعـــزيم وسميـــت بذلك لأنها تُنَشَّر عن صاحبها ــ أي تُحَلُّ ــ, ومنعها الحسن وقال: هي من السحر, وفي أبي داود عن جابر رضي الله عنه قـــال: ســئل رسول الله ' عن النُّشرة فقال: **>هي من عمل الشيطان<**.

وقال بعض العلماء: هذا محمولٌ على أنها خارجة عن الكتاب والسنة, وعن المداوة المعروفة, وإلا فالنشرة من جنس الطب. اهـــ.

وقال القاضي أبو عبد الله الشبلي الحنفي في آكام المرجان[2]: يجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله عز وجل ويغسل ويسقى له كما نصّ على ذلك الإمام أحمد وغيره,

---

(1) (17/6) كتاب الطب: باب التداوي.

(2) ص 102.

واحتج بما رواه بإسناده عن ابن عباس أنه كان يكتب لمن أصابها الطلق كلمات الكرب وآيتين من كتاب الله عز وجل تناسب الحال, يكتب: لا إله إلا الله العظيم الحليم, سبحان الله رب العرش العظيم, الحمد لله رب العالمين, {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا} [النازعات: 46], {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ}(1) [الأحقاف: 35] اهـــ.

وقال البخاريُّ في الصحيح: باب هل يُسْتَخرج السحر؟

وقال قتادة: قلتُ لسعيد بن المسيَّب: رجلٌ بـــه طِـــب(2) أَوْ يُؤَخَّذُ عن امرأته, أَيُحلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس به, إنما يريدون به الإصلاح, فأما ما ينفع فلم يُنْهَ عنه. اهـــ.

---

(1) انظر لزومًا ص .

(2) طِبّ: أي سحر, يقال: طُبّ الرجلُ إذا سُحِرَ, يقال: كنّوا عن السحر بالطبّ تفاؤلاً كما قالوا للديغ سليم.

قال الحافظ ابن حجـــر في شـــرحه[1]: كـــذا أورد الترجمـــة بالاستفهام إشارةً إلى الاختلاف, وصدر بما نقله عـــن ســـعيد بـــن المسيب من الجواز إشارة إلى ترجيحه, وأثر سعيد هذا وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن من طريق أبان العطار عن قتادة, ومثله مـــن طريق هشام الدَّسْتَوائي عن قتادة بلفظ: **>يُلتمس من يداويـــه؟<** فقال: إنما نهى الله عما يضرّ و لم ينهَ عمّا ينفع, وأخرجه الطـــبري في التهذيب من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيَّب أنه كان لا يرى بأسًا إذا كان بالرجل سحر أن يمشي إلى من يطلق عنه, فقال: هو صلاح, قال قتادة: وكان الحسنُ يكره ذلك يقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر, قال: فقال سعيد ابن المسيب: إنما نهى الله عما يضرّ و لم ينهَ عما ينفع, وقد أخرج أبو داود في المراسيل عن الحـــسن رفعَـــه **>النشرة من عمل الشيطان<** ووصله أحمد وأبو داود بسند حـــسن عن جابر[2].

---

(1) (233/10).

(2) أخرجه أبو داود في مراسيله في كتاب الطـــب, بـــرقم (453), (ص319), ووصله أحمد في مسنده (294/3), وأبو داود برقم (3868), والبيهقـــي في =

قال ابن الجوزي: النشرة حَلُّ السحر عن المسحور, ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر, وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال: لا بأس به, وهذا هو المعتمد.

ويجاب عن الحديث والأثر بأن قوله: >**النشرة من عمل الشيطان**< إشارة إلى أصلها, ويختلف الحكم بالقصد, فمن قصد بها خيرًا كان خيرًا وإلا فهو شرّ, ثم الحصر, المنقول عن الحسن ليس على ظاهره لأنه قد ينحل بالرقى والأدعية والتعويذ, ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين. اهـ كلام الحافظ.

ثم قال بعد كلام: وممن صرّح بجواز النُّشرة المُزَني صاحب الشافعي وأبو جعفر الطبري وغيرهما. اهـ[1].

....

[1] **فائدة**: أخرج عبد الرزاق عن الشَّعبي قال: لا بأس بالنُّشْرَةِ العربية التي إذا وطئتْ لا تضرّه, وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاهٍ فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل, ثم يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به.

وذكر ابن بطال أن في كتب وهب بنِ منَبِّه أن يأخذ سبع ورقات من سدرٍ

الشعب (351/9), الحاكم في المستدرك (418/4) وصحَّحه.

أخضرَ فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل[1], ثم يحسو منه ثلاث حسوات, ثم يغتسل به =

....

= فإنه يذهب عنه كل ما به, وهو جيّد للرجل إذا حُبِس عن أهله.

وقال جعفر المستغفري في كتاب (الطب النبوي): وجدتُ بخطِّ نَصُّوح بن واصل على ظهر جزء من تفسير قتيبة بن أحمد البخاري: قال قتادة لسعيد بن المسيب: رجل به طِبّ أُخِّذَ عن امرأته أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس, إنما يريد به الإصلاح, فأما ما ينفع فلم ينهَ عنه, قال نصوح: فسألني حماد بن شاكر: ما الحل؟ وقال النُّشرة؟ فلم أعرفهما! فقال: هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسًا ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارًا في تلك الحزمة حتى إذا ما حَمِي الفاس استخرجه من النار وبال على حرّه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى.

وأما النُّشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قَدِرَ عليه من ورود المَفَازة[2] وورود البساتين ثم يلقيها في إناء نظيف ويجعل فيها ماءً عذبًا ثم يغلي ذلك الورد في الماء غليًا يسيرًا ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى, قال حماد: تعلّمت هاتين الفائدتين بالشام. اهـ.

---

(1) **القواقل**: أي {قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ..} و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ..} و{قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ..}.

(2) **المفازة**: البرّية, القَفْر.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: حماد هذا من رواة الصحيح عن البخاري. اهـ. =

فصل

وأما كتابةُ شيءٍ من القرآن أو الأدعية وتعليقه على عنقِ الصحيح أو المريض للاستشفاء فجائز على الراجح, لما رواه أحمد والترمذي والنسائي والحاكم من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (سمعتُ رسول الله ' يأمر بكلمات من الفزع: **>أعوذ بكلمات الله التّامات من غضبه ومن عقابه ومن شرِّ عباده ومن هَمَزَات الشياطين وأن يَحْضُرون<**. قال: فكان عبدُ الله بن عمرو, مَن بلغ من ولده علّمهنَّ إياه فقالهنَّ عند نومه, ومن لم يبلغ منهم كتبها فعلّقها في

....

= قلتُ: هذا من الفوائد التي يرجع فيها إلى التجربة, ذكرناها تتميمًا للفائدة وبيانًا لمعنى الحل والنشرة, كما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري لذلك[1], وظاهر جدًّا أن هذا لا تعلُّق له بموضوع التداوي بالقرآن الذي

(1) (233/10) كتاب الطبّ: باب هل يستخرَجُ السحر؟.

أفردنا له هذه الرسالة.

عنقه)، حسّنه الترمذي، وصححه الحاكم[1].

قال ابن أبي زيد في الرسالة: ولا بأس بالمَعاذة تُعَلَّقُ وفيها القرآن. اهـ.

قال ابن ناجي في شرحها: ظاهر كلام الشيخ أنه جائز للصحيح والمريض، وهو كذلك بالنسبة للمريض باتفاق، وإلى الصحيح باختلاف على قولين، والذي أفتى به بعضُ من لقيناه من القرويين غيرَما

(1) أخرجه أحمد برقم (6696)، وأبو داود في الطب: باب كيف الرقى؟ برقم (3893)، والترمذي في الدعوات برقم (3528) وقال: هذا حديث حسن غريب. والنسائي في الكبرى (191/6) برقم (10602) بدون حكاية عبد الله بن عمرو مع أولاده، والحاكم في المستدرك (548/1) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في الأسماء والصفات (ص 185) وفي الآداب برقم (993)، وابن أبي شيبة (39/8 و63)، والبخاري في خلق أفعال العباد (96/1)، وعبد الرزاق في مصنفه (44/5) برقم (23547)، والطبراني في الدعاء برقم (1086)، وابن السني برقم (753)، كلهم من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وعند النسائي أن خالد ابن الوليد هو الذي كان يفزع في منامه، وعند البخاري وابن أبي شيبة والبيهقي أن الوليد بن الوليد أخا خالد بن الوليد هو الذي كان يفزع، وعند ابن السني أن رجلاً شكا...

ومعنى همزات الشياطين: وساوسها، ومعنى: يحضرون: أي يصيبوني بسوء.

مرة أن ذلك جائز, وقال التادَلي: في المسألة أقوال: ثالثها: يجوز للمــريض دون الصحيح والحيوان, ورابعها: للآدمي دون الحيوان, اهــ من كلام ابن ناجي.

وقال زَرُّوق: المَعاذة هي الحُرُوز, وقد حَصَّل ابــن رشــد في جوازها ومنعها أربعة أقوال: مشهورها ــ سماع أشهب ــ جوازها مطلقًا, وتُعَلَّق على المريض والصحيح والجنب والحائض والنفــساء والبهائم بعد جعلها فيما يكنّها[1], وثالثها الجواز للإنسان المــريض فقط, ورابعها جوازها له وإن لم يكن مريضًا. اهــــ مــن كــلام زرّوق[1].

وقال القرطبي في التفسير: قــال مالــك: لا بــأس بتعليــق الكتــــب التــي فيهــــا أسمــــاء الله عــــز وجــل علـــــى أعنــاق

....

[1] واستدلّ شقيقُنا الحافظ أبو الفيض في شرح الرسالة بما رواه أبو نعيم في الطب عن عائشة قالت: لا بأس بتعليق التعويذ من القرآن قبل نزول الــبلاء وبعــد نزول البلاء.

---

(1) **يكنّها**: أي يسترها.

المرضى على وجه التّبرُّك بها إذا لم يُرِدْ معلّقُها بتعليقها مدافعَة العين, وعلى هذا القولِ جماعة من أهل العلم, لا يجوز عندهم أن يعلّقَ على الصحيح من البهائم أو بني آدم شيء من العلائق خوف نزول العين, وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من أسماء الله عز وجل وكتابه, رجاء الفرج والبرء من الله تعالى, فهو كالرَّقي المباح الذي وردت السنة بإباحته من العين وغيرها.

وقد روي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ‘: >**إذا فَزِعَ أحدكم من نومه فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وسوء عقابه ومن شر الشياطين وأن يحضرون**< وكان عبد الله يعلّمها ولدَه مَن أدرك منهم, ومن لم يدرك كتبها وعلَّقها عليه[1].

وسئل ابن المسيّب عن التعويذ أيعلَّق؟ فقال: إذا كان في قصبة أو رقعةٍ يحرز فلا بأس به. وهذا على أن المكتوب قرآن...

وعن الضّحاك أنه لم يكن يرى بأسًا أن يعلِّق الرجل الشيء من كتاب الله تعالى, إذا وضَعه عند الجماع وعند الغائط[2].

---

(1) سبق تخريجه ص 132.

(2) أي إذا نزعه عند الجماع وعند الغائط.

ورخّص أبو جعفر محمد بن علي ــــ يعني الباقر ــــ في التعويذ يعلّق عن الصبيان[1], وكان ابن سيرين لا يرى بأسًا بالــشيء مـــن القرآن يعلقه الإنسان. اهــــ.

وقال أيضًا ــــ القرطبي ـــ: فإن قيل: فقد روي أن رسول الله ‘ قال: **>من تَعَلَّق شيئًا وُكِل إليه<**(1), ورأى ابن مسعود علـــى أم ولده تميمة مربوطة فجذبها جذبًا شديدًا

....

[1] رواه ابن جرير عن يونس عن خباب عنه.

فقطعها, وقال: إن آل ابن مسعود لأغنياء عن الشرك, ثم قـــال: إن التمائم والرقى والتِوَلَة من الشرك. قيل: ما التِوَلَة؟ قال: ما تحببت به المرأة لزوجها. وروي عن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعت رســـول الله ‘ يقول: **>من علّق تميمةً فلا أتمَّ الله له, ومن علَّق ودَعةً فـــلا**

---

(1) حسن لغيره. أخرجه أحمـــد (310/4), والترمـــذي (2072), والحـــاكم (216/4), والطبراني في الكبير (385/22) كلهم من حديث عبد الله بن عُكيم بسند ضعيف فيه ابن أبي ليلى وهو سيء الحفظ, وأخرجه النـــسائي في الكبرى (307/2) من حديث أبي هريرة بسندٍ آخر ضعيف فيه عبـــاد بـــن ميسرة المِنْقَري وهو لين الحديث.وبمجموع الطريقين يرتقي الحديث إلى مرتبـــة الحسن لغيره.

أودَعَ الله له<[1].

قال الخليل بن أحمد[2]: التميمة قلادة فيها عـــوذ, والودعـــة خرز, وقال أبو عمر: التميمة في كلام العرب القلادة, ومعناه عنـــد أهل العلم ما علق في الأعناق من القلائد خشيةَ العين أو غيرهـــا أن تتزل أو لا تتزل قبل أن تتزل. فلا أتمّ الله عليه صحّتَه وعافيتَه, ومـــن علَّقَ ودَعَة ـــ وهي مثلها في المعنى ـــ فلا أودعَ الله له, أي فلا بارك الله له ما هو فيه من العافية. والله أعلم.

وهذا كلُّه تحذير مما كان أهل الجاهلية يصنعونه مـــن تعليـــق

---

(1) الحديث صحيح.
أخرجه أحمـــد (154/4), وأبـــو يعلـــى (98/2) والطـــبراني في الكـــبير (297/17), بـــرقم (8200), وابـــن حبـــان (6086/13), والحـــاكم (216/4), والبيهقي في الـــشعب (350/9), وقـــال في مجمـــع الزوائـــد (103/5) بعد أنْ عزاه إلى أحمد وأبي يعلى والطبراني: ورجالهم ثقات.

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي, من أئمة اللغة, وواضع علم العَروض, وهو أستاذ سيبويه, ولد ومات في البصرة.
يقال: إنه دعا بمكة أن يرزقه الله تعالى علمًا لم يُسبَقْ إليه, فرجع إلى البـــصرة وقد فُتِحَ له بعلم العَروض.
توفي سنة 170هـــ. تاريخ الذهبي (ص169) من وفيات القرن الثاني.

التمائم والقلائد, ويظنون أنهم تقيهم وتصرفُ عنهم البلاء, وذلك لا يصرفه إلا الله عز وجل, وهو المعافي والمبتلي, لا شريك له, فنـــهاهم رسول الله ‘ عما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليّتهم. وعن عائشة قالت: ما تعلَّق بعد نزول البلاء فليس من التمائم.

وقد كره بعضُ أهل العلم تعليقَ التميمة على كلّ حال قبـــل نزول البلاء وبعدَه, والقول الأول أصحّ في الأثر والنظر إن شـــاء الله تعالى.

وما رويَ عن ابن مسعود يجوز أن يريد بما كره تعليقه غـــير القرآن أشياء مأخوذة عن العرَّافين والكهّان, إذْ الاستشفاء بـــالقرآن معلّقًا وغير معلّق لا يكون شركًا.

وقوله ‘: **>من علّق شيئًا وُكل إليه<**[1] فمن علّق القـــرآن ينبغي أن يتولاه الله ولا يكله إلى غيره, لأنه تعالى هو المرغوب إليـــه والمتوكَّل عليه في الاستشفاء في القرآن. اهـــ من كلام القـــرطبي في التفسير.

---

(1) سبق تخريجه ص 172.

قلتُ: لا شكَّ أن من جعل تعليقَ مَعاذة فيها قرآن أو تعـــوُّذ مأثور, مثل التمائم التي نهى النبي ‘ عنها, فهو إن لم يكن كافرًا قريبٌ من الكفر, عياذًا بالله تعالى, لأنه سوّى بين كلام الله تعالى ورسوله ‘ ـــ وبين شرك الجاهلية في الحكم, وذلك غاية في الـــضلال ونهايـــة الخسران...

وابن مسعود لم يقصدْ بفعله إلا تميمةَ الجاهلية, والدليل علـــى ذلك أمران:

الأول: ما ورد في سنن ابن ماجه[1] أن التميمة التي قطعها ابن مسعود كانت عبارةً عن خيط معقود, وهذا هو ما كان يفعله أهـــلُ الجاهلية, يعلّق أحدُهم على عضده خيطًا معقـــودًا أو حلْقـــة مـــن صُفْر[2], أو نحو هذا, فلذلك قطعه ابن مسعود, لأنـــه مـــن عمـــل الجاهلية.

الثاني: ما رَوَيناه فيما تقدم أن ابن مسعود حين رأى في عنـــق امرأة من أهله سَيْرًا فيه تمائم قطّعه, ثم قال: لو أنَّ إحداكنَّ تدعو بماء

(1) سبق تخريجه ص 173.

(2) **الصُّفْر**: النحاس.

فتنضحه في رأسها ووجهها ثم تقرأ {قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} والمعوذتين, نفعها ذلك إن شاء الله تعالى[1].

وفي حادثة أخرى مع إحدى نسائه قطع تميمةً لها, ثم قال لها: لو فعلتِ كما فعل رسول الله ' كان خيرًا لك وأجدرَ أن تُشْفَي: أن تنضحي في عينك الماء وتقولي: **>أذهب الباس ربَّ الناس, واشفِ أنتَ الشافي لا شفاءَ إلا شفاؤك شفاءً لا يُغادر سقمًا<**[2].

فهذان الأثران صريحان في أنه كره تميمةَ الجاهلية, وحضَّ على الاستشفاء بالوارد من القرآن والدعاء, وهــذا ظــاهر لمــن تأملــه بإنصاف, والله ولي التوفيق.

فــصــل

والتداوي بالقرآن الكريم ونحوه من الأدعية المأثورة من محاسن هذا الدين العظيم الذي جعله الله تعالى دين العالم كلّه, لأن مــن مزايــا الإسلام التي لا تُوجد في غيره أنه جمع بين الماديات والروحانيــات,

---

(1) سبق تخريجه ص 173.

(2) سبق تخريجه ص 107.

وانتظم الحسيات والمعنويات, فأعطى لكلِّ جانبٍ حقَّه, وأعدّ لكلِّ حالةٍ لَبوسها, ولم يهمل واحدة من الطرفين, وإن كان يومئ في كثير من نصوصه إلى تغليب جانب الروحيات لأنها أشمل وأقوى, وأهمّ وأبقى.

فانظر كيف كان النبي ‘ يتداوى بالأدوية المادية, ويصِفُها لغيره, ويقول: >**تداوَوا, فإن الله لم يضعْ داءً إلا وضع له دواءً غير داءٍ واحد: الهرم**<[1].

وكانت عائشة رضي الله عنها تحذِقُ الطب لكثرة مزاولة

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الطب: باب في الرجل يتداوى, برقم (3855).
والترمذي في كتاب الطب: باب الدواء والحثّ عليه, وقال: حسن صحيح.
والنسائي في الكبرى (368/4), برقم (7553), كتاب الطب: باب الأمر بالدواء.
وابن ماجه في كتاب الطب: باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء, برقم (3436), وقال في الزوائد: إسناده صحيح.
والحاكم (121/1), وقد سبق ذكره ص 51. =

الأدوية التي كان النبي ' يستعملها في أمراضه(1).

ثم انظر كيف كان ' يستعمل الأدوية الروحية, فيعالج نفسه بالقرآن والدعاء وينفث في يده ويمرّ بها على ما اتصل إليه من جسمه الشريف, وكذلك كان يعالج الحسنَ والحسين رضي الله عنهما, وأقرَّ الصحابةَ الذين استعملوا القرآن دواءً لبعض الأمراض الحسيّة, بل صوّب فعلَهم, وقال: >**حصّنوا أموالَكم بالزكاة, وداووا مرضاكم بالصدقة, وأعِدُّوا للبلاء الدعاء**< وهو حديث صحيح, بل لقد بلغ حدَّ الاستفاضة والشهرة[1](1).

....

[1] لشقيقنا الحافظ أبي الفيض رسالة (الزواجر المقلقة لمن أنكر التداوي بالصدقة) ردًّا بها على بعض المبتدعة بالمغرب.

---

(1) أخرجه أحمد (67/6), والحاكم (197/4), واللفظ له: >عن عروة قال: قلتُ لعائشةَ عمّن أخذتِ الطبَّ؟ قالت: إن رسول الله ' كان رجلاً مسقامًا, وكانَ أطباء العرب والعجم يأتونه فأتعلمُ منهم<.

(2) قول المؤلف: (وهو حديث صحيح) فيه نظر, وإليك تفصيل ذلك:

فقد أخرجه الخطيب البغدادي في التاريخ في ترجمة (إسحاق بن كعب أبو يعقوب مولى بني هاشم) (334/6) بسند ضعيف جدًّا لأن فيه موسى بن عمير القرشي الجعدي وهو متروك, وقد تُرجم له في:

=

....

= ــ (تقريب التهذيب) لابن حجر (278/2), وقال: متروك, وقد كذبه أبــو حاتم.

وأخرجه الطبراني في الكبير (157/10 ــــ 158 بــرقم 10196), وفي الأوسط (574/2 برقم 1984),

وفي الدعاء (806/2 برقم 48).

وأخرجه أبو نعيم في الحلية (104/2 و237/4).

ــ (المعرفة والتاريخ) للفَسَوي (121/3), وقال: ضعيف.

ــ (الضعفاء) للنسائي (ص 224 ــ برقم 522), وقال: ليس بثقة.

ــ (الضعفاء) للعُقَيلي (159/4 ــ 160), وقال: منكر الحديث.

ــ (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم (155/8), ونقل فيه عن أبيه أنه قــال: ذاهب الحديث, كذّاب. وقال أبو زرعة: ضعيف.

ــ (المجروحين) لابن حبان (238/2) لكنه توهَّم في اسمه فقال: موسى بــن عمير العنبري أبو هارون من أهل الكوفة... ثم ذكر من تكلم فيه... ثم ذكر بعض شيوخ العنبري, علمًا أن العنبري ثقة, فليُنظرْ لكي لا يشتبه على أحــد أنه العنبري, وجلّ من لا يسهو. وانظر تعليق د. بشار عوّاد علــى تهــذيب الكمال, فهذا منه.

ــ (الكامل) لابن عدي (2340/6) ــ 2341), وقال: عامة ما يرويه مما لا يتابع الثقات عليه.

ــ (الميزان) للذهبي (215/4 برقم 8904), ونقل فيه قولَي أبي حاتم وابــن عدي السابقين, ثم ساق أحاديث منها هذا الحديث.=

وأخرجه البيهقي في الكبرى (383/3).

وأخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة موسى بن عمير القرشي.

وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (401/1 ـ 402 برقم 449) من طريق موسى بن عمير أيضًا.

قال الطبراني في الأوسط: لم يروِ هذا الحديث عن الحكم إلا موسى بن عمير.

وأما رواية الطبراني التي في الدعاء برقم (34) فهي بلفظ: >...فحرِّزوا أموالكم بالزكاة, وداووا مرضاكم... وادفعوا عنكم طوارق البلاء بالدعاء فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم يترل...<, وفي سند هذا الحديث عِرَاك بن خالد وهو منكر الحديث, قال أبو حاتم في العلل (220/1 ـ 640): هذا حديث منكر, وإبراهيم لم يدرك عُبَادة, وعِراك منكر الحديث.

وقال البيهقي: إنما يعرف هذا المتن عن الحسن البصري عن النبي ‘ مرسلاً.

ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (2/2ـ 3) من طريق الخطيب وأبي نُعَيم, وقال: هذا حديث لا يصح تفرّد به موسى بن عمير.اهـ.=

....

= ثم نقل بعض أقوال النقّاد فيه قال: وإنما رويَ هذا مرسلاً.

ورواه أبو داود في مراسيله (ص 64 برقم 104) وعنه ابن الجوزي في العلل عن الحسن البصري مرفوعًا به, إلا أن لفظ آخر الحديث عنده: >... واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع<.

ورجال إسناد هذا الحديث المرسل ثقات عدا عمر بن سُلَيم الباهلي, قال الحافظ ابن حجر عنه في التقريب: صدوق له أوهام.

قال المنذري في الترغيب والترهيب (520/1): والمرسل أشبه.

وللحديث شواهد معلولة ذكرها السخاوي في المقاصد الحسنة برقم (413).

وأما قول المؤلف: وصل إلى حدّ الاستفاضة والشهرة, فهذا لا يُعَدُّ تـــصحيحًا للحديث, لأن المشهور ـــ كما قال النووي في التقريب (156/2) ـــ: المشهور من الحديث قسمان: صحيح وغيره. اهـــ.

فإن طرق الحديث المذكور تعدّدت لكن جميعها معلولة وغير صالحة للاعتبار خلا رواية أبي داود في المراسيل (ص64) فهي ضعيفة لأمرين:

1ـــ لوجود عمر بن سليم وهو صدوق له أوهام.

2ـــ ولإرسال الحسن, بغضّ النظر عن الخلاف في قبوله بين العلماء.

فالرواية المرسلة لهذا الحديث الضعيف قد تتقوّى بالشواهد كمـــا في مـــسند الفردوس (118/4) عن أنس مرفوعًا: >ما عُولج مريض بدواء أفضل مـــن الصدقة< لكنها لا تبلغ درجة الصحة كما قرّر المؤلف والله تعالى أعلم. =

والتداوي بالصدقة علاج روحي, لا يقدر عليه إلاّ أســـخياء النفوس أقوياء الإيمان, وهو استدرار لرحمة الله بـــالمريض, بالرحمـــة لبعض الفقراء لعباده المؤمنين, كما أن التـــداوي بـــالقرآن يتـــضمن الالتجاء إلى الله في كشف الضرّ عن المصاب والمريض, بكلامه الذي فيه سرُّه, وفيه مظهر ربوبيته ورحمانيّته.

فالذي ينكر الدواء الروحي في أصله, أو ينكر التداوي بالقرآن وما في معناه, مبتدع جاهل, لأنه أنكر ما ثبت عن رسول الله ‘ وعن الصحابة وأئمة المسلمين, كما أنه جهل أسرارَ الشريعة, وغفل عما

تقصد إليه في لفتِ الناس إلى هذا الجانب الروحي, من الحِكَم الـــتي أهمّها أن يكون بين العبد وبين خالقه صلة دائمة, تقوي يقينه, وتثبّتُ إيمانَه, وتملأ قلبَه طمأنينةً واستقرارًا, فلا يعتريه قنوط, ولا يخامره يأس, ولا تضجره المصائب والأمراض على كثرتها وشدّتها, لاعتمـــاده في دفعها وتهوينها على من وسعت رحمتُه, وعمَّتْ نعمَتُـــه, ســـبحانه وتعالى.

فـــصـــل

وقد يزعم ذلك المبتدع ومن على شاكلته ممن ينكرون التداوي بالقرآن الكريم أنه لم يترل لهذا, وإنما نزل للهداية ومعالجة أمـــراض القلوب والنفوس..!!

ونقول ـــ في الجواب عن هذه الشبهة التي يتذرَّعون بها لإنكار ما ثبت عن رسول الله ‘ وصحابته والتابعين ـــــ: إن الله ســـبحانه وتعالى أنزل كتابه الكريم لِحِكَم كثيرة, وفوائد عديـــدة, لا تكـــاد تنحصر؛

1 ـــ منها: إعجاز العالمين عن الإتيان بمثله, ليعلموا أنـــه

مـــن عند الله, وأن الذي جـــاء به رســـول الله, {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88], {أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [هود: 13].

2 ــ ومنها: بيان الشرائع والأحكام التي كلَّف الله بها عبادَه في العبادات من صلاةٍ وزكاة وحجّ وغيرها, وفي المعاملات من نكاح وطلاق وبيوع وغيرها, وفي الحروب من جهادٍ للكفار وقتالٍ للبغـــاة والخارجين وما يلتحقُ بذلك من عقوبات أو تعزيرات.

قال العلماء: في القرآن من آيات الأحكام خمس مئة آيـــة, أو ما يقرب منها. يعنون الآيات الصريحة أو الظاهرة التي يؤخذ الحكـــم منها بغير كبير فكر, وإلا فأغلبُ آيِ القرآن يؤخذ منها حُكْـــمٌ أو أكثر بطريق من طرق الاستنباط المبيَّنة في كتب الأحكام والأصول, وقد أوضح جملةً منها سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام, ونقل كلامَه الحافظ السيوطي في مقدمة كتابـــه (الإكليـــل في اســـتنباط

التنزيل)[1].

3 ـــ ومنها: التدبُّر فيه والتذكُّر به {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ} [النساء: 82], {لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ} [ص: 29], {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [القمر: 17].

4 ـــ ومنها: الحُكْم بما فيه {وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ} [المائدة: 49], {أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 50], {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} [المائدة: 44], {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [المائدة: 45], {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ} [المائدة: 47], وتحكيمه عند التنازع والتخاصم {فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59], الردُّ إلى الله هو الرجوع إلى كتابه, والردُّ إلى الرسول ‘ هو

---

(1) (الإكليل) ص 21, تحقيق: سيف الدين الكاتب, بيروت.

سؤاله في حياته, والرجوع إلى سنّته بعد وفاته..

ورأيتُ رسالةً في تفسير هذه الآية للعلاَّمة الــولي الكــبير أبي العباس السيد أحمد بن إدريس العرائشي المالكي[1].

5 ــ ومنها: الهداية لطريق الحقّ وإخراج الناس من الظلمات إلى النور {ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 2], {قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة: 15 ــ 16] {الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن إدريس الشريف الإدريسي, ولدَ بقرية قرب فاس يقال لها (ميسور), أخذ علوم الشريعة عن أكابر علماء = عصره, أخذ عنه أجلاَّء وقته, وله مؤلفات منها (العقد النفــيس في جــواهر التدريس), توفي سنة 1253هــ رحمه الله تعالى.

انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمــد مخلــوف (ص396), برقم (1580).

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ} [إبراهيم: 1], {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ} [الإسراء: 9] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

6 ــ ومنها: الإنذارُ والبِشارة, وإلانة قلوب المؤمنين ــ عند سماعه[1] ــ لذكر الله {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا} [الكهف: 1 ــ 4].

{ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ} [الزمر: 23].

---

(1) الضمير في كلمة (سماعه) يعود للقرآن, قوله (لذكر الله) متعلق بإلانة, والمعنى: إلانةُ قلوب المؤمنين لذكر الله عند سماع القرآن.

7 ــ ومنها: تثبيتُ قلب النبي ﷺ به على وجه العموم وبما فيه من قصص الأنبياء والرسل على وجه الخصوص {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان: 32].

{وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ} [هود: 120].

8 ــ ومنها: إقامة الحجة على مشركي العرب وغيرِهم ممن لم يكن عندهم كتابٌ مثل التوراة والإنجيل, حتى لا يعتذروا بأنهم لم يأتِهم كتاب من الله, ولو أتاهم كما أتى مَن قبلهم لاهتدوا به واتبعوه {وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ...} [الأنعام: 155 ــ 157].

9 ـ ومنها: بيان وحدانية الله تعالى, والدعاء إلى إفراده بالألوهية {هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ} [إبراهيم: 52].

{قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: 110], والآياتُ في هذا المعنى كثيرة بل أهمّ ما أرسل الله لأجله الرسلَ وأنزل له الكتبَ هو تقرير هذا المعنى وتوضيحُه وإقامة البرهان عليه.

10 ـ ومنها: العظة والعبرة بما فيه من قصص الأنبياء والمرسلين, وما جرى على قومهم من الهلاك والتبار حين كذّبوهم {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ}

[يوسف: 111].

وقد يعرض ههنا سؤال فيقال: **ما الحكمة في تَكْرَار قَصَص الأنبياء في القرآن؟**

ـ فالجواب على ذلك من أوجه:

* **الأول**: أنه ربما ذَكَر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في آية أخرى, ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى.

* **الثاني**: أنه ذكر أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب وفي مواضع على طريقة الإيجاز, لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

* **الثالث**: أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد, فتعدّد ذكرها بتعدُّد تلك المقاصد..

أ ــ **فمن المقاصد بها**: إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات, وذكر إهلاك من كذّبهم بأنواع من المهالك, وفيها إثباتُ النبوة للنبي ' لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلُّم من أحد, وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: {مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ} [هود: 49].

ب ــ **ومنها: إثباتُ الوحدانية**, ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: {فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ} [هود: 101].

ج ــ ومنها: الاعتبار في قدرة الله تعالى وشدة عقابــه لمــن كفر.

د ــ ومنها: تسليةُ النبي ‘ عن تكذيب قومه له بالتأسّي بمن تقدّم من الأنبياء, كقوله تعــالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ} [الأنعام: 34].

هــ ــ ومنها: تسليته ‘ **ووعده بالنصر** كما نصر الأنبيــاء الذين من قبله.

و ــ ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفــار الذين من قبلهم.

إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء مــن العجائــب والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردّهم على الكفار وغير ذلك...

فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائدَ كثيرة ذُكرتْ في مواضع كثيرة, ولكلّ مقام مقال, ذكره ابن جُزَي في تفسيره[1].

(1) هو محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَي الكلبي المالكي, يكنى أبا القاسم, من أهل غرناطة, كان فقيها حافظًا, قائمًا على التدريس, مشــاركًا فــي فنون مــن =

ثم يأتي سؤال آخر وهو: **ما الحكمة في أن قِصَّةَ يوسف عليه السلام ذكرت كلها في سورة واحدة, ولم تفرّق في عدة سور, كما أنها لم تتكرر؟**

والجواب على ذلك أن نقول:

أما ذكرها جملة واحدة فلأمرين: أحدهما يرجع إلى علم البلاغة, والثاني يرجع إلى علم الأصول.

أما الأول: فإن قوله تعالى: {إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ} [يوسف: 4], يعتبرُ إجمالاً للقصة, وما وقع بعد ذلك بين يوسف

عربيـــة وأصول وقراءات وحديث وأدب,

= حُفظةً للتفسير, توفي شهيدًا عام إحدى وأربعين وسبع مئة. انظـــر طبقـــات المفسرين للداودي (85/2), برقم (447).

وأما عن تفسيره المسمى (التسهيل لعلوم التتريل) فقد قال الـــشيخ عبـــد الله الغماري في كتابه (بدع التفاسير) (ص 160): تفسير ابن جُـــزَي تفـــسير مختصر مفيد, يحكي أصحَّ الأقوال, ويذكر أصحَّ الأعاريب, كتـــب في أولـــه مقدمة من علم التفسير في غاية الإفادة.

وإخوته تفصيلٌ لمجمل ما انطوتْ عليه هذه الرؤيا, وتفسير لمغزاها, ألا ترى في آخر القصة بعد أن اجتمع بأبويه وإخوته, ورفع أبويه على العرش وخرُّوا له سجدًا, قال: {يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ} [يوسف: 100], يشير بذلك إلى أن ما تقدم من الحوادث كان تمهيدًا وتفصيلاً لهذا التأويل.

ومن مقتضيات البلاغة ـــ التي هي مطابقة الكـــلام لمقتـــضى الحال ـــ أن الشيء إذا ذكر مجملاً, تتشوّف النفوسُ إلى معرفة تفصيله, فيجب ذكرُه مفصّلاً ليكون أوقعَ في النفوس, وأدعى إلى تسكينها.

فكذلك في قصة يوسف, لما ذكرت الرؤيا مجمَلَـــةً تـــشوّفت النفوس إلى معرفة تفسيرها, وتشوقت إلى إدراك سرّ أَحَدَ عَشَرَ كوكبًا والشمس والقمر, ومن المراد بهم؟!! وكيف كان سجودهم؟! فكان وقْعُ تفصيل القصة بعد هذا الإجمال في النفوس المتشوِّفة المتـــشوِّقة, أعذبَ من الماء البارد في اليوم القائظ لمن كاد يهلكُه الظمأ.

وأما الثاني: فإن الله تعـــالى قـــال: {۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ} [يوســـف: 7], فأخبر تعالى بوقوع السؤال عن قصة يوسف وإخوته, والسائلون هم اليهـــود أو قـــريشٌ بـــأمر

اليهود, وأيًّا ما كان السائلون, فإن السؤال يقتضي أن تذكر القصة جملةً واحدة, ليطابقَ الجوابُ السؤال, ولو فرَّقت القصة بأن ذكر جزء منها في هذا الموضع, وجزء في موضع آخر, لَتأخّر البيانُ عن وقت الحاجة, والمقرَّر في علم الأصول أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

فلهاتين الحكمتين ـــ والله أعلم ـــ ذكرت قصة يوسف جملةً واحدةً, وهما مما فتحَ الله بهما عليَّ وله الحمد.

وأما عدم تكرارها فهو مبنيٌّ على ما قبله, وناشئٌ عنه, لأنه إذا كانت القصة ذكرت جملةً واحدة بمقتضى الحكمتين اللتين أوضحناهما, فذكرُها مرةً ثانية لا يخلو إما أن يكون بالأسلوب الذي ذُكرت به أولاً, وهو تكرارٌ خالٍ عن الفائدة, وإما بأوجزَ منه وهو مخلٌّ بالفائدة, وإما بأكثرَ منه وهو زيادة على المقصود بلا فائدة... هذا ما ظهر لي, والله أعلم بسرِّ كتابه[1].

---

(1) إن قول المؤلف في حكمة عدم تكرار قصة يوسف عليه السلام فيه نظر, لأن الله تعالى لو أراد تكرارها لكرّرها في فنون كثيرة وأساليب مختلفة, ولا يخفى =

11 ـــ ومنها: ـــ أي الحِكَم التي أنزل الله تعـــالى لأجلـــها القرآن ـــ: قراءتُه في الصلاة {فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ} [المزمل: 20], وقال ‘: **>لا صلاة لمن لم يقرأ بأمِّ القرآن<** حديث صحيح,

---

ما في ذلك من الفصاحة والإعجاز.

وإن خير جوابٍ عن حكمة عدم تكرار قصة يوسف عليه السلام ما أجابـــه الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن), (29/3), من وجوه:

الأول: ما فيها من تشبيب النسوة به, وتضمّن الإخبار عن حال امرأة ونسوة افتتنَّ بأبدع الناس جمالاً وأرفعهم مثالاً, فناسبَ عدم تكرارها لما فيهـــا مـــن الإغضاء والستر عن ذلك, وقد صحّح الحاكم في مستدركه حديثًا مرفوعًـــا: >النهي عن تعليم النساء سورة يوسف<.

الثاني: أنها اختصتْ بحصول الفَرَج بعد الشدّة, بخلاف غيرها من القـــصص, فإنّ مآلها إلى الوبال, كقصة إبليس, وقوم نوح, وقوم هود, وقـــوم صـــالح, وغيرهم, فلمّا اختصّتْ هذه القصة في سائرِ القصص بذلك اتفقت الـــدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص.

الثالث: قاله الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: إنما كرّر الله تعـــالى قـــصصَ الأنبياء وساق قصة يوسف مساقًا واحدًا, إشارة إلى عجز العرب, كأنَّ النبي ‘ قال لهم: إنْ كان من تلقاء نفسي تصديره على الفصاحة, فـــافعلوا في قـــصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الأنبياء.

بل هو مشهور مستفيض[1].

12 ــ ومنها: التعبُّد بتلاوته, وقد عرّف العلماءُ القرآن بأنه: اللفظ المنَزَّلُ على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه, المتعبّد بتلاوته.. وقال تعالى: {وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا} [المزمل: 4], فهذا أمرٌ بتلاوة القرآن والتثبُّت فيها. وقال ﷺ: >**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة, والحسنة بعشر أمثالها, لا أقول {الٓمٓ} حرف, ولكن ألفٌ حرفٌ, ولام حرفٌ, وميم حرفٌ**< صححه الترمذي[2] وغيره. والأحاديث

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأذان: باب وجوب القراءة للإمام والمأموم برقم (756).

ومسلم في كتاب الصلاة: باب قراءة الفاتحة في كل ركعة برقم (872 ــ 873 ــ 874 ــ 875).

وأبو داود في كتاب الصلاة: باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب, برقم (822).

والترمذي في كتاب الصلاة: باب ما جاء في أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب, برقم (247), وفي كتاب الافتتاح: باب إيجاب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة, برقم (909 ــ 910).

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة: باب القراءة خلف الإمام, برقم (837).

(2) كتاب ثواب القرآن: باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر, =

في فضل تلاوة القرآن كثيرة.

13 ـــ ومنها: التـــداوي بـــه {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}, وقد سبقت الأحاديث الكثيرة في التداوي به من السَّم وغيره من الأمراض.

14 ـــ ومنها: التبرُّك به {وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ} [الأنعام: 92], ومن بركته أنّ قراءة سورة منه وآيات تطرد الشيطان عن القارئ بل عن بيته أيضًا, كما ثبت عن النبي ‘ في قراءة سورة البقرة, وفي خاتمتها, وفي آية الكرسي, وكما ثبت عن النبي ‘ أن قراءة سورة الكهف تعصم من فتنة الدجال[1] وانظر الأحاديث الواردة بذلك في الجزء الأول من كتابنا (فضائل القرآن).

فـــصـــل

وهذه الحِكَم التي أوردناها لا تَنافُرَ بينها ولا تناقض بل هـــي

برقم (2915).

متداخلة متوافقة.

وبيان ذلك أن استعمال القرآن دواءً للأمراض الحسية, لا يمنع استعمالَه لأمراض القلوب ودفع الجهل والريب والشكوك عنها.

....

[1] من جهل هذا المبتدع الذي نردُّ عليه أنه ينكر الدجال, الذي تواترت الأحاديث به عن النبي ' في كتب السنة من الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم والأجزاء والمستخرجات وغيرها, وأجمع على القول به جميعُ أهل السنة لم يشذّ عنهم فردٌ واحد, بل بلغ من جراءته ووقاحته أنه أنكر الشيطان أيضًا, وزعم أنه عبارة عن قوة الشرّ السارية في الوجود سريان الأثير في الجو!!! وصادم بزعمه هذا صرائح النصوص التي تدمغه وترغم أنفَه في قصة آدم وما جرى من المحاورة والمراجعة بين الله وبين الشيطان, وبين آدم وبين الشيطان, مما يستحيل عقلاً أن يقوم شيء منه بقوة الشر المزعومة.

وتلاوته للتعبد والتبرك, لا تنافي العمل بما فيه من الأحكام والشرائع, وهكذا سائر الحكم تجدها متناسقة مترافقة, آخذًا بعضُها بحجزة بعض.

وانظر إلى النبي ': >**كان خُلُقُه القرآن**<(1) كما قالت

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض, برقم (746), وأبو داود في كتاب الصلاة: باب صلاة =

عائشة حين سُئلت عن خلقه, أي أنه المَظْهَر العملي التطبيقي لأوامر القرآن ونواهيه وآدابه, فكان ' متحلّيًا بالقرآن حالاً وعملاً ومقالاً, منفّذًا لأحكامه في جميع شؤونه, في عباداته, ومعاملاته, وغزواتــــه, مقيمًا لحدوده على من استوجبها لا يقبل في إقامتها شفاعة شــــافع, ولا رجاوة مقرَّب.

وكان إلى جانب هذا يتحدّى به المعاندين, وينذر الكــــافرين, ويبشّر المؤمنين, ويتعبّد بتلاوته في الصلاة وخارِجِها, ويعالج به نفسه وأهله من الأمراض العارضة, ويحاجج به ويناظر.

وكذلك كان الصحابة والتابعون يــــستعملون القــــرآن أدواءً لأمراضهم الحسية والمعنوية, ويحرصون على تنفيذ أحكامـــه, فيمـــا يفعلون وفيما يَذَرون.

فمن زعم ـــ بعد هذا ـــ أن استعمال القرآن في ناحية مـــن هذه النواحي ـــ كالتداوي ـــ يعطّل استعماله في ناحية أخــــرى, أو ينافيها, يكذّبه عملُ النبي ', وعمل الصحابة والتابعين...

الليل, برقم (1342).

هذا إلى أن ذلك الزعمَ باطل من أصله لا يستند إلى شيء من قواعد العلم.

ويشبه في البطلان والفساد استدلال بعض المتنطعين على أن هذا القرآن لا يقرأ على الميت, بقوله: {لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ} [يس: 70], وهذا الاستدلال, مع بطلانه, ينبغي أن يدرج في باب الطُّرَف والمستملحات, لأنه لا علاقة البتة بين كون القرآن لإنذار الحي به, وبين قراءته على الميت تبرُّكًا أو ترحُّمًا[1]..

والمقصود أن قَصْرَ فائدة القرآن على حكمة من الحكم السابقة دون غيرها, قصورٌ في العقل وضيق في التفكير, وتَعْطِيلٌ للحكم السامية التي قصدها الله تعالى من إنزال كتابه.

---

(1) قراءة القرآن على الأموات ترحُّمًا قال به السلف الصالح فمن بعدهم, إلى أنْ جَاء في عصرنا الحاضر مَنْ ينكره.

ارجع في بيان حكم قراءة القرآن على الميت إلى رسالة العربي التباني (إسعاف المسلمين والمسلمات..) إذ ينقل الجواز عن أئمة المذاهب الأربعة حتى ابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزية.

فإذا أراد المسلمون النجـــاح والفـــلاح, ورغبـــوا في العـــزة والكرامة, فليتخذوا القرآن شفاءً لأمراضـــهم الحـــسية والمعنويـــة, وليجعلوه مرشدهم في الدين, ودليلهم في الحيـــاة, ودســـتورهم في الحُكْم, وموجّههم في السياسة, إنهم إن فعلوا ذلك, استعادوا عزّهمُ الغابر, واستردُّوا كرامتهم المسلوبة, وخافت منهم الأعداء, وخطب وُدَّهمُ الأقوياء, وكانوا ــــ كما كان سلفهم الصالح ــــ سادة الدنيا, وقادة الأمم, وهداة العالم, ومحرِّري الشعوب, وحاملي لواء العلـــم والحضارة والحرية...

ولكنْ, متى يتحقق ذلك؟؟ إنا لنرجو أن يكون قريبًا, وما ذلك على الله بعزيز.

* * *

خــاتمــة

تشتمل على مسألتين:

الأولى: شرط التداوي بالقرآن وما في معناه من الرقى والمعوّذات, أن يكون الشخص كامل الإيمان, قويَّ العزيمة, ثابتَ اليقين, صادق اللجوء إلى الله, فبذلك يجدُ العلاجَ السريع, والدواء الناجع, والشفاء التام, كما يرشد إلى ذلك قولُه ‘ لابن مسعود ـ حين قرأ في أذن مبتلى آخِرَ سورة المؤمنون فأفاق ـ: **>لو أن موقنًا قرأ بها على جبل لزال<**[1].

وقال ابن القيم في كتاب (الجواب الكافي)[2] بعد أن ذكر حديث الرقية بفاتحة الكتاب:

---

(1) سبق تخريجه ص 123.

(2) ص 30.

ولكن ههنا أمر ينبغي التفطُّن له, وهو أن الأذكار والآيـــات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها, هي نفسها, وإن كانت نافعـــةً شافية, لكن تستدعي قَبُول المحل, وقوة همة الفاعل وتـــأثيره, فمـــتى تخلَّف الشفاءُ كان لضعف تأثير الفاعل, أو لعدم قَبُول المنفعـــل, أو لمانعٍ قوي فيه, يمنع أن ينجح في الدواء كما يكون ذلك في الأدويـــة والأدواء الحسية, فإنَّ عَدَمَ تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء, وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره, فإن الطبيعـــة إذا أخذت الدواء بقَبُول تام, كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القَبُـــول, فكذلك القلب إذا أخذ الرّقى والتعاويذ بقَبُول تام, وكـــان للراقـــي نفس فعّالة وهمة مؤثرة في إزالة الداء[1]. اهـــ من كلام ابن القيم.

---

(1) هذا الكلام فيه نظر: إذ لا علاقة لقبُول المحلّ, ولا لقوّة همّةٍ الفاعل وتأثيره في حدوث الشفاء, لأنه تقرر أنّ الله تعالى يخلق خاصّية الشفاء عند تلاوة تلـــك الآيات القرآنية السابق ذكرها, فإنْ تخلّف الشفاءُ لا يُعلّلُ بشيءٍ ســـوى أنّ الله تعالى أمسكَ هذه الخاصيّة, ومعنى كلام ابن القيّم رحمه الله أنّ الآيات والأوراد تؤثّر بذاتهـــا

= تأثيرًا ملازمًا غير منفك عنها, وهذا القول للمعتزلة, وهو مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة, والله تعالى أعلم.

وكذلك الدعاء ينفع في دفع المكروه, وحصول المطلوب بالشرط السابق, مع تيقُّظ القلب وعدم غفلته, لقوله ‘: **>ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة, واعلموا أن الله لا يقبل دعاءً من قلب غافل لاهٍ<** رواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة[1].

---

(1) إسناده حسن.

المستدرك (493/1), والترمذي برقم (3474) في الدعوات, وفي سنده صالح بن بشير بن وادع الـمُرّي أبو بشير البصري ضعيف كما قال ابن حجر في التقريب, وقد صحّح الحديثَ الحاكم قائلاً: حديث مستقيم الإسناد تفرّد به صالح المُرّي, وقد تعقّبه الذهبي بقوله: صالح متروك.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

لكن للحديث شاهد يقويه في مسند أحمد (177/2) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص مرفوعًا: >القلوب أوعيةٌ بعضُها أوعى من بعض, فإذا سألتمُ الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله تعالى لا يستجيب لعبدٍ دعاءً عن ظهر قلب غافل<.

= وقد حسّن الحديثَ المنذري في الترغيب والترهيب (491/2), والهيثمي في مجمع الزوائد (148/10).

وقول الغماري: (وكذلك الدعاء ينفع في دفع المكروه, وحصول المطلوب بالشرط السابق) أي بشرط اليقين بالإجابة لصراحة حديث >ادعوا الله وأنتم موقنون<, لأن عدم إجابة الدعاء في الدنيا لا يستلزم عدم قَبُول الدعاء, فقد =

ويضاف إلى ذلك اشتراط عدم أكل الحرام, لقوله ‘: >**أيها الناسُ, إن الله طيب لا يقبل إلا طيِّبًا, وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين, فقال:** {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51], **وقال:** {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172], **ثم ذكر الرجل يطيل السفر, أشعثَ أغبر, يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب, يا رب, ومطعمه حرام, ومشربه حرام, وملبسه حرام, وغُذِيَ بالحرام, فأنى يستجاب له؟!!**< رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة[1].

أخرج أحمد (18/3) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النبي ‘ قال: >ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمّا أنْ تعجَّل له دعوتُه, وإمّا أنْ يدَّخرها له في الآخرة, وإمّا أنْ يصرف عنه من السوء مثلَها< قالوا: إذًا نُكْثِرَ, قال: >الله أكثر<.

وكذا أخرجه الترمذي في الدعوات (566/5), برقم (3573) وقال: حسن صحيح غريب عن عبادة بن الصامت, كما صححه الحاكم (493/1).

(1) مسلم كتاب الزكاة: باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها, برقم (1015).

الثانية: أشرتُ في خطبة الكتاب إلى قصة الخضر عليه السلام, ثم ظهر لي أن أفصِّلها ههنا بعضَ التفصيل, فأقول:

روى البخاري قصة الخضر في مواضع من صحيحه من عـــدة طرق, فقال في كتاب العلم: باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر عليهما السلام, وقولـــه تعـــالى: {هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا} [الكهـــف: 66] حدثنا محمد بن غريـــر الزهري قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن صـــالح عن ابن شهاب حدّثه أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن ابن عبـــاس أنه تمارى هو والحرُّ بن قيس في صاحب موسى فقال ابن عباس: هو خضر, فمرَّ بهما أبيّ بن كعب, فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريتُ أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه, هل سمعتَ النبي ‘ يذكر شأنه؟

قال: نعم, سمعتُ رسول الله ‘ يقول: >بينما موسى في مـــلأٍ من بني إسرائيل, جاءه رجلٌ فقال: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قـــال موسى: لا, فأوحى الله إليه: بلى عبدُنا خضر, فسأل موسى السبيلَ

إليه, فجعل الله له الحوت آية, وقيل له: إذا فقدت الحوت فـــارجع فإنك ستلقاه, وكان يتبع أثر الحوت في البحر, فقال لموســـى فتـــاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحـــوت ومـــا أنـــسانيه إلا الشيطان أن أذكره, قال: ذلك ما كنا نبغي فارتَدَّا علـــى آثارهمـــا قصصا, فوجدا خضرًا, فكان من شأنهما الذي قصَّ الله عز وجلّ في كتابه<.

كذا ذكره في هذا الباب مختصرًا, وأعاده مطوَّلاً في (أحاديث الأنبياء) تحت ترجمة (باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام) حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان ــ هو ابن عيينة ـــــ حـــدثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال: قلتُ لابن عباس إن نوفًا البِكَاليَّ يزعم أن موسى صاحبَ الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل, إنما هو موسى آخر, فقال: كذب عدوُّ الله, حدثنا أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ (أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل, فسُئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا, فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه, فقال له: بلى, لي عبدٌ بمجمع البحرين هو أعلم منك, قال: أيْ رَبِّ ومَنْ لي به؟ قال: تأخذ حوتًا فتجعله في مِكْتَل, حيثما فقدتَ الحوت فهو ثَمَّ.

وأخذ حوتًا فجعله في مِكْتَل, ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نُونٍ حتَّى أَتَيَا الصَّخْرة وَضَعَا رُؤُسَهُما فرقد موسى, واضطرب الحـــوت فخَرَجَ, فسقط في البحر, فاتخذ سبيله في البحر سَرَبًا, فأمـــسك الله عن الحوت جِرْيَةَ الماء[1], فصار مثل الطاقِ, فقـــال: هكـــذا مثـــلُ الطّاق[2].

فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما, حتى إذا كان من الغـــد قال لفتاه: آتنا غدَاءَنا لقد لقينا من سَفَرِنا هذا نصبًا, و لم يجد موسى النَّصَبَ,[3] حتى جاوزَ حيثُ أمرَه الله, قال له فتاه: أرايتَ إذا أوينـــا إلى الصخرة, فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا, فكان للحوت سَرَبًا ولهما عجبًا, قال لـــه موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدّا على آثارهما قصصًا, رَجَعَا يقـــصّان

(1) **جِرْيَة الماء**: حالة جريانه.

(2) **الطَّاق**: كلمة فارسية معربة, جمعها طاقات وطيقـــان. (شـــفاء الغليـــل ص 175). ومعناها: عقد البناء, أو ما عقد أعلاه من البناء, وبقي ما تحته خاليًا ـــ الثقب غير النافذ ـــ.

(3) **النَّصَب**: التعب.

آثارَهُمَا حتى انتهيا إلى الصخرة, فإذا رجل مُسَجًّى بثــوب[1], فــسلم موسى, فردّ عليه, فقال: وأَنّى بأرضِكَ السَّلامُ؟ قال: أنــا موســى, قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم, أتيتُك لِتُعَلِّمَني مما عُلِّمتَ رُشْدًا.

قال: يا موسى إني على عِلْم من عِلْم الله علَّمَنيه الله لا تَعْلَمُه, وأنت على عِلْم من عِلْم الله علَّمكَه الله لا أعلمُهُ.

قال: هل أَتَّبِعُكَ؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبرًا, وكيــف تصبر على ما لم تُحِطْ به خُبْرًا... إلى قوله.. إمرًا.

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر, فمرَّتْ بهما سفينةٌ كَلَّموهُمْ أنْ يَحْمِلُوهُمْ فعرفوا الخَضِرَ فحملوه بغير نَوْلٍ, فلما ركِبا في السفينة, جاءَ عُصْفُورٌ فوقع على حَرْفِ السفينة, فنقــر في البحــر نَقْــرَةً أو نقرتين, قال له الخضر: يا موسى, ما نقص عِلْمي وعِلْمُكَ من علــم الله إلاّ مِثْلَ ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر, إذ أخذَ الفــأس فنزع لوحًا, قال: فلم يَفْجأْ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقَدُّوم, فقال له موسى: ما صنعتَ؟ قومٌ حملونا بغير نَوْلٍ, عمدتَ إلى ســفينتهم

---

(1) **مسجًّى**: مغطّى.

فخرقتها لتغرقَ أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا.

قال: ألم أقلْ إنك لن تستطيع معيَ صبرًا, قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ ولا ترهقني من أمري عُسْرًا, فكانت الأولى من موسى نِسيانًا.

فلما خرجا من البحر مرُّوا بغلام يلعب مع الصبيان, فأخــذ الخَضِرُ برأسِهِ فقلعه بيده هكذا ــ وأومأ سفيانُ بأطرافِ أصابعه كأنّه يقطفُ شيئًا ــ فقال له موسى: أقتلتَ نفسًا زكيّةً بغير نفــس لقــد جئتَ شيئًا نكرًا, قال: ألم أقلْ لك إنك لن تستطيع معي صبرًا, قال: إن سألتُك عن شيء بعدَها فلا تصاحبني قد بلغتَ من لدني عــذرًا, فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قريةٍ استطعما أهلها فــأبَوا أن يــضيّفوهما, فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقضَّ, مائلاً, أومأ بيده هكذا ــ وأشار سفيان كأنه يمسح شيئًا إلى فوق ــ, قال: قومٌ أتيناهم فلم يطعمونــا و لم يضيّفونا, عمدتَ إلى حائطهم, لو شئتَ لاتخذتَ عليه أجرًا, قال: هذا فراقُ بيني وبينك, سأُنبّئكَ بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا.. قال النبي ': **>وَدِدْنا أن موسى كان صَــبَر, فقــصّ الله علينــا مــن خبرهما<**).

قلتُ:

في الطريق الأول: حصلت مماراةٌ بين ابن عباس والحرّ بن قيس في صاحب موسى, هل هو الخضر؟ أو غيره؟ والحرُّ بن قيس صحابيّ مشهور..

وفي الطريق الثاني: حصل خلاف بين سعيد بن جبير وبين نوف البِكَالِيّ في موسى, هل هو موسى بن عمران؟ أو موسى بن ميشا[1].

وروى البخاري في الباب المذكور آنفًا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **>إنما سمّى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتزّ من خلفه خضراء<** ورواه أحمد وعبد الرزاق والترمذي(1) وغيرهم, والفروة أرض بيضاء.

وقال البخاري في كتاب التفسير, باب قوله: {وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ

---

(1) أحمد في >المسند< (312/2), ولم أجده في مصنف عبدالرزاق, وإنما أخرجه أحمد (318/2), والترمذي في التفسير باب من سورة الكهف برقم (3151), وابن حبّان (112/14) برقم (6222), البغوي في التفسير (172/3) جميعهم من طريق عبد الرزاق.

[1] في تفسير القرطبي ج11 ص9 س4: منشا, وهو خطأ, فقد ضبطه الحافظ ابن حجر في فتح الباري بالياء. ــ بكسر الميم وسكون التحتانية ــ ابن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب, وكان نبيًّا قبل موسى.

أَمۡضِيَ حُقُبٗا} حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو ابن دينار قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: قلتُ لابن عباس إن نوفًا البكالي[1] يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل, فقال ابن عباس: كذب عدوُّ الله, حدثني أبيّ بن كعب أنه سمع رسول الله ' يقول: >**إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل, فسئل: أيُّ الناس أعلم؟**<, وذكر الحديث بطوله.

وقال: باب قوله: {فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا} حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير, يزيد أحدهما على صاحبه, وغيرهما قد سمعتُه يحدّثه عن سعيد, قال: إنّا لعند ابن عباس في بيته, إذ قال: سلوني, قلت: أيِ ابنَ عباس, جعلني الله فداءك, إن بالكوفة رجلاً

[1] نوف بفتح النون وسكون الواو, والبكالي بكسر الباء وتخفيف الكاف, قيل: إنه ابن

امرأة كعب الأحبار, وقيل: ابن أخيه, وهو تابعي.

قاصًّا يقال له نَوْف, يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل, أما عمـــرو فقال لي: قال: قد كذب عدوُّ الله, وأما يعلى فقال لي: قـــال ابـــن عباس: حدّثني أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ‘.. وذكر الحديث نحو ما سبق.

وقال أيضًا: بـــاب قولـــه تعـــالى: {قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ..} حدثني قتيبة بن سعيد حدثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نَوفًا البِكَـــالي يزعم أن موسى نبيّ الله ليس بموسى الخضر, فقال: كذب عدوُّ الله, حدثنا أبيّ بن كعب عن رسول الله ‘ قال: >**قام موسى خطيبًـــا في بني إسرائيل, فقيل له: أيُّ الناس أعلم؟**< الحديث.

وقال مسلم في الصحيح: أحاديث قصة موسى مـــع الخـــضر عليهما السلام, ثم روى الحديث بعدّة أسانيد عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب.

ورواه أبو داود والنسائي والترمذي, وأشار الترمذي إلى تعدّد

طرقه عن ابن عباس(1), وذكر عن علي بن المديني أنه حـــج حجـــة وليس له همّة إلاّ أن يسمع هذا الحديث من سفيان بن عيينة.

وروى الترمذي وابن جرير وغيرهما عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب عن النبي ' قال: >**الغلام الذي قتله الخضر طُبِعَ يوم طُبِـــعَ كافرًا**< قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(2). اهــ.

وقد روى قصة الخضر أيضًا الإمام أحمد وابن أبي حاتم وابن المنـــذر وابن جرير وعَبْدُ بنُ حُمَيد وغيرهم, وأفرد العلماء هذه القصة بالتـــأليف, وتكلّموا على ما يؤخذ منها من الفوائد الفقهية وغيرها, كما تكلّموا على الخضر[1] وما يتعلّق به..

....

[1] تكلّمت عليه في سمير الصالحين ج2.

فأسخنَ الله عينَ المبتدعة(3) أعداء السنة, وأظلّهم في جهلـــهم فهم يعمهون, وأعاذنا مما ابتلاهم به, إنه سميع قريب مجيب.

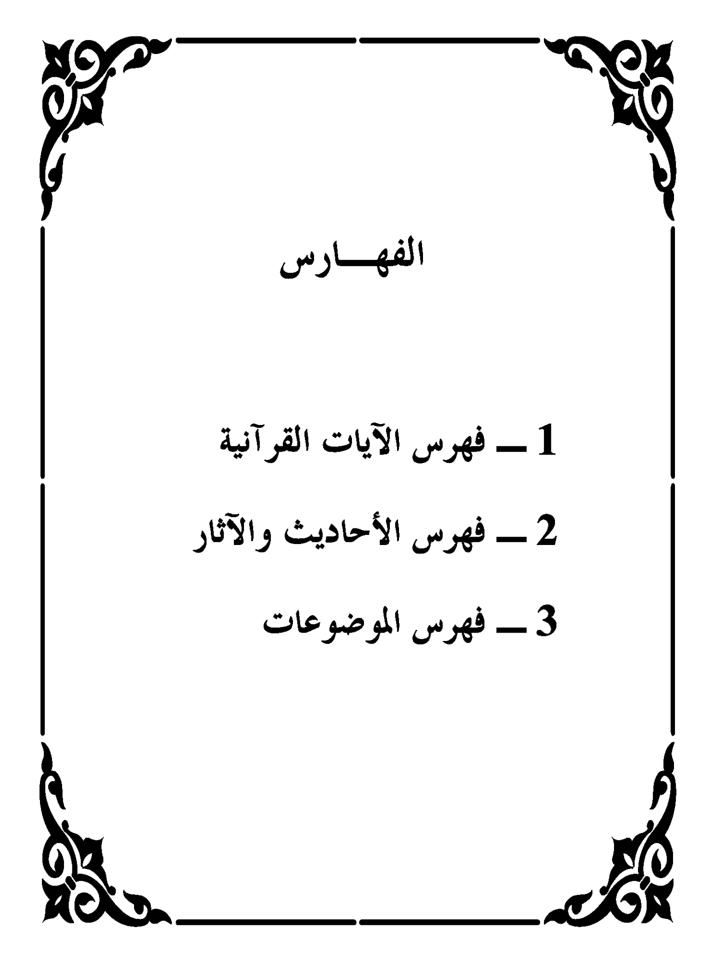
---

(1) سبق تخريجه ص .

(2) الترمذي في كتاب التفسير, برقم (3162), وابن جرير في التفسير عند قولـــه تعالى: {أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ...} (3/16).

(3) أي أبكاهم.

* * * * *



الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية

*   *   *

فهرس الأحاديث والآثار

* * *

فهرس الموضوعات

* * *